مشعل عبد العزيز الفلاحي

مشروع العمر





الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم ـ دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية ـ بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
www.alkalam-sy.com

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير ـ جدّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مشروع العمر

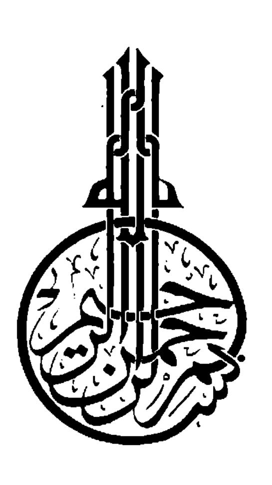
إنَّ الميلادَ الحقيقيَّ للإنسانِ
ليس تلك اللحظةَ التي يخرج صارخاً إلى الدنيا من
رحم أمه، وإنَّما يولدُ الإنسان في اللحظة التي يعثرُ
فيها على مشـــروعه

تأليف

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



دمشـق



إضـاءة

كتـب أحـدُ العبَّاد إلـى الإمام مالـك رَحِمَهُ اللَّهُ ينكر عليه اشتغالـه بالعلـم، ويدعوه إلى التفرُّغ للعبـادة، فكتب إليه الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً:

«إنَّ الله تعالـى قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق، فربَّ رجلٍ فُتـح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فُتـح له في الجهاد. ونشر العلم مـن أفضل أعمال البِرِّ، وقد رضيتُ بما فُتح لي، وما أظنُّ ما أنا فيه دون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير».

❊ ❊ ❊

المقدمة

الكتابةُ في مشروع العمرِ مشروعٌ فَرَضَهُ واقعُ هذه الأمة اليوم، وحاجتُها الكبرى لاستثمار جهود أبنائها نحو تحقيق آمالها الكبار.

وقد ظلَّت هذه الأمة إلى عهد قريب هي روح الدنيا وقلبها النابض في الأرض، وكانت نتيجة لذلك هي المورد العذب لكلِّ إنسان ومجتمع في الشرق والغرب، وظلَّت أمم الدنيا تشرب من معينها الصافي كلَّ معالم الحضارة الكبرى التي يعيشها إنسانُ اليوم.

وكنتُ أشعر ـ ولا أزال ـ أنَّ مشروع الأمة قبل أن يكون مشروعاً جماعيّاً هو مشروعٌ فرديٌّ ينطلق من شعور الإنسان بأهميته كإنسان جاء خليفة في الأرض؛ ليقوم

بعمارتهـا من جديد، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هـود: ٦١].. فأحببـتُ أوَّلاً أن يكون لي سهم الولد البارِّ في أمته.

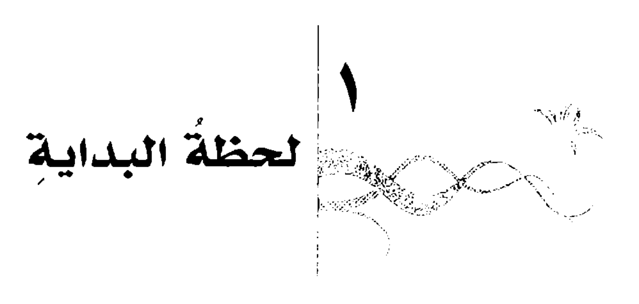
وقـد بلغتْ منِّي هذه الكلمة (مشروع العمر) كلَّ مَبْلَغ، فاسْتَلَّتْ قلبي في لحظاتٍ كثيرةٍ، ورحلتْ به إلى حيث يجد أشواقَـه وأمانيه، وأشهِـدُ الله تعالى أنَّني ما سمعتُ بهذه الكلمة، ولا قرأتُها في موقع، ولا رأيتُها في ساحةِ معرضٍ، أو لقـاء إلا جـاءت بـي إليها مرغماً مهمـا كانت ظروفي التـي أعيشها تلك اللحظة، وقد قلـتُ في أيامٍ مضتْ ولا أزال أردِّدُ: **إذا لم تجدْ أنفاسك في حرف تكتبه، فَحَرِيٌّ بك أن تدعَهُ.**

وها أنذا أدفـع بروحي إليك أيُّها القارئ الكريم ثانية بعـد أن دفعـتُ بهـا إليـك ولهـةً في كتـاب (**ابـدأ كتابة حياتك**)، والذي يعدُّ كتابُ (**مشـروع العمر**) هو الترجمةَ العمليـةَ لتلك الأماني التـي بعثتُها إليك هناك، وأرجو أن يكـون هذا الكتابُ هـو الخطوةَ العمليَّـةَ التطبيقيَّةَ لذلك الأمـل، وإن كان هنـاك بدايـة الغرس فهنـا الماء الذي ينبت ذلك الزرع.

والشكر لله تعالى أولاً وآخراً على ما منّ به من توفيق، والشكـر موصـول للشاعر محمـد بلغيث العلـوي، وللُّغوي الأديـب عطيـة بـن شامي العقيلـي، وللشاعر أبـي سعود أحمـد بـن حسـن الصَّابطي، ولأبـي أحمد الشيـخ شايع محمد الغبيشي على تفضُّلهم بمراجعة الكتاب، داعياً الله تعالى أن يَكون لهم من أثره أوفر الحظِّ والنَّصيب.

واللهُ المسـؤول أن يبـاركَ في ذلـك، وأن يمدَّ له من توفيقه ما يكفل له من الحظوظ في قلوب أبناء الأمة.

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي
مشرف تربوي
بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة
المملكة العربية السعودية
محافظة القنفذة
وادي حلي ـ قرية الفلحة
Mashal001@hotmail.com



١
لحظةُ البدايةِ

الإنســـانُ جاء لعمـــارة الأرضِ، وصناعـــةِ التَّاريخ، ليس إلاَّ، هذه هي المهمة الكبرى الَّتي جاء الإنسان يكتبها في عالم الأرض، وليس ثمة شيءٌ آخرُ جاء له الإنسانُ.

ويكفــي فــي تحديد هــذه المهمَّــةِ الكبرى فــي الحياة قــولُ الله تعالــى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقــرة: ٣٠]، ومقتضــى الخلافــة فــي الأرضــ أن يستنفــر فيها الإنسانُ كلَّ ما يملك حتى يكون خليفة صالحاً، ووريثاً كبيراً، وعامراً عظيماً.

ومــن اللحظة التــي أُهبط فيهــا آدمُ إلــى الأرض إلى يومنــا هــذا ظلَّــت الدُّنيا حافلــةً بالإنســان، بهيجــةً به، مسرورةً بلحظاته؛ لأنه جاء كاتباً للتاريخ، مجدِّداً له، وما عدا ذلك هو نشازٌ لا عبرة به، وشذوذٌ لا غاية له.

إنَّني أتحدَّثُ هنا إلى الإنسان الذي هو نفخة من روح الله تعالـى قبل أن يكون كومـة من طين.. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].. إنَّها اللَّحظة التي تصـل فيها كرامتك كإنسان أن تكون عالَماً من روح الله تعالى قبل أن تكون مزيجاً من لحم ودم!.

وأتحـدَّث إلـى الإنسان الـذي ملَّكَـهُ اللهُ تعالى خلافةَ الأرضِ، وهيَّأَه لصناعـةِ تاريخِها كيف شاء، ويسَّر له كلَّ مـا في الكـون من أجل ما ينتظر منه من خلافة حقيقية وتمكيـن كبيـر.. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ ﴾ [الجاثية: ١٣].

فتأمَّـل هذا المعنى كثيراً فـي حياتك، وستجد سروره على قلبك أكبر ممَّا يوصف لك.

إنَّ اللَّحظـة التـي يقـوم إنسـان فيهـا مـن نومـه، ويسـتيقظُ مـن رقدتـه، ويهبُّ فـي الأرض طامحـاً إلى المعالـي، هـي اللحظـة الَّتـي أرادهـا الله تعالـى أول ما خلق هذا الإنسـان، وأرادها أول ما احتفل بتكريمه على مرأى ومسـمع من الملائكة الكـرام، وأرادها الله تعالى له حين هيَّأَ له سبباً للنزول إلى الأرض.

إنَّ العجـب يتملَّكني، والدَّمعة تسابـقُ عيني، ولحظاتُ السُّـرور والغبطـة تحتفُّ بروحـي كلِّها حيـن أشعر بهذه الخلافة الكبرى، وأتنفَّسُها لحظةً بلحظةٍ في حياتي، ولولا هـذه اللحظاتُ لما وجـدَ الإنسانُ لنفسه معنًـى! وأجِدُنِي أشعـرُ بهتاف هذا التَّكريـمِ وهذه اللحظـاتِ حتَّى كأنني أتوقُ لعناقِ السماء!..

آهٍ علـى لحظـات يجـدُ فيهـا الإنسان روحَـه، ومعناه، ولحظاتِـه الحقيقيـةَ، ويسيـر في كنفِ الدُّنيـا وهو يشعر أنه جـاء لصناعة التَّاريخ، وكتابـةِ الأحداث الكبرى على الأرض.. ولحظاتُ النَّومِ والراحةِ والسكـون والدَّعَةِ التي تهفـو إليهـا النفوس في لحظـاتٍ، إنَّما هـي لحظاتُ زادٍ وقـوةٍ وحيـاةٍ وروحِ إنسانٍ، لا لحظات خمـولٍ وذبولِ همَّة ونسيانِ تاريخ.

أيُّ معنًـى للإنسان وهو لا يستشعـر هذه الروح؟! وأيُّ حيـاةٍ له وهو لم يجـد بعدُ طعم هذا التكريم؟! ولذا فإنَّ أي لحظة يعيشها الإنسان من حياته وهو لا يستشعر هذه المعاني لم يدرك بعدُ لماذا جاء إلى هنا؟ وماذا ينتظره هناك؟..

إننـــي أبكي هذه اللحظةَ الَّتي أكتــبُ لك فيها أسطري هذه.. أبكي أنْ فَقَدَ الإنسانُ معناه كإنسان! أبكي لحظات أراهــا تذهبُ في حياةِ إنسان في النَّــوم، ولحظاتٍ أراها تذهــبُ فــي حياة آخر فــي اللَّهو، ولحظــاتٍ أراها تذهب لغيــر غايةٍ، وتموتُ فــي لحظتِها كما يمــوتُ صاحبها في لحظته!..

أبكي أن عاد خليفةُ الأرضِ لا مشروعَ له في الحياةِ، ولا غايــةَ له في الدُّنيا، فماذا ينتظر في عرض هذه الحياة؟ آهٍ علــى لحظاتٍ ذهبتْ في غير مشروعٍ! وآهٍ على لحظاتٍ سقطتْ تحتَ أقدام الهــوى، فداسَها الإنسانُ وأعلنَ وفاةَ خلافتِها في الأرضِ.

كــم نحــن بحاجةٍ إلــى أن يسأل كلُّ إنســان منَّا نفسه هــذه الأسئلــة: من أنا؟ بمــاذا أُعرف بيــن النَّاس؟ ماذا قدمــتُ فــي تاريخ حياتي؟ أيُّ تاريخٍ كتبــتُ؟ وأي لحظاتٍ عشتُ؟ هل أنا إضافةٌ حيةٌ في هذه الدنيا؟ أم عبءٌ ثقيلٌ على الأرض؟..

مــا هــو مشروعــي الذي عشــتُ لــه حياتــي، وأفرغتُ فيــه وقتــي، ووجدتُ فيــه الحيــاة الكريمة التــي أنشدها

مـن عمري؟ أيـن أنا هذه اللحظة من الأرضـ؟ وأين أنا هـذه اللحظة من السماء؟ وأيـن أنا من صفحاتِ التاريخ ومواقفِ الكبارِ؟..

هـل لي مشروعٌ في الحياة أعيش فيه لحظات حياتي؟ وأجـد فيه وهج الروح ورحلـة المعاني الكبار في النَّفس؟ مـا مشروعي؟ وأين وصل؟ وكم هو أثر هذا المشروع في نفسي وتاريـخ أمتي؟... أسئلة تبعثهـا نفوس الأحرار في كلِّ لحظـة، ويجهـدون أن يجدوا بهـا أرواحهم في عالم الأرض.

وفي النهاية سيجـدون أنَّ أروعَ لحظةٍ في حياتهم هي الخطوةُ الأولى الَّتي يخطونها في لحظة أمل... وسيعانقون ذاتَ الأمل الذي خطوا به أوَّل وهلةٍ وهم يرددون:

ونشربُ إنْ وردْنا الماءَ صَفْواً

ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

* * *



٢ المشروعُ والنَّجاحُ

إنَّ ثمـةَ علاقةً كبيـرةً ومتينةً بين النَّجـاحِ والمشروعِ، وهـي ذات العلاقـة بين النَّاجحيـن والمشاريـع، فقلَّ أن تجـد ناجحاً استطاع أن يرسم اسمه في عقول الناس إلاَّ وتجـد لـه مشروعاً تعلَّق به، وتوجَّه إليـه، وبذلَ له كلَّ ما يملـك من وقتٍ وجهـدٍ ومالٍ، حتَّى صار لـه هذا التاريخ الذي يشهد به الآخرون.

تحدث الدكتـور عبد الكريم بكار عـن هذا المعنى قائلاً: **يستطيعُ كثيرٌ من أفراد هذه الأمَّة أن يتخيّلَ أن حياتَـه عبـارةٌ عـن مشـروعٍ أنشـأته أمـةُ الإسـلام، واسـتثمرتْ فيـه، ثـمَّ أوكلتْـهُ إليـه ليديـرَه ويتابعَـه، ويبـذلَ فيـه من مالـه ووقته وجهده، وقـد قبلَ هذه الوكالةَ، وشرع يحاولُ في جعل ذلك المشروعِ ناجحاً**

ومثمـراً، بل يحاول أن يجعلَ منه مشـروعاً نموذجيّاً بين المشروعات المناظرة. اهـ.

إنَّ ثقافـةَ المشـروعِ تُعطي معنًى لحيـاةِ الإنسانِ للدَّرجة الَّتي تسلك به مواقـف الكبار، وتضعه في قائمة الناجحين، وتجعل منه أنموذجاً يشار إليه بالبَنَان.. ولا أعلم كبيراً اليوم يمـلأ أسماعَ النَّاس ذكراً، إلاَّ وهو صاحبُ مشروعٍ أخذ على عاتقـه بناءَه، وعاشَ له لحظاتِ حياتِـه، وبذلَ كلَّ ما يملك، وفي النهاية كان لزاماً على الأمَّة أن تتوِّج تاريخَها بذكره.

إنَّ كلَّ إنسـانٍ يمكـنُ أن يقـدِّمَ عملاً صالحـاً، لكن كلَّما افتقـدَ هذا العملُ روحَ المشروعِ ظـلَّ جهداً عابراً، وخطواتٍ متفرِّقةً، ولحظاتٍ غيرَ مرتبةٍ، وفي النهاية يجني ثمارَ دقائق حياته خيراً، لكنْ يفوت هذا العملُ حين تفوتُه ثقافةُ المشروعِ وروحُـه ونضجُـه وقدرتُـه على الاستمـرار والتفـوُّق، فيفوتُ صاحبَه شيءٌ كبيرٌ، إذ يظلُّ في الغالب عرضةً للزوال.

إنَّ المشـروعَ يُعطـي العمـلَ قيمـةً كبرى حيـن يجعلُه همَّ الإنسـانِ وروحَه وفكرَه ودقائـقَ لحظاته، ويكتبُ على صفحاتـه اسمَ صاحبِ المشروع، وكاتـبَ تاريخِه، وصانعَ إنجازاته، ومهما كانت مشاركةُ الإنسانِ في أي عملٍ كبيرةً

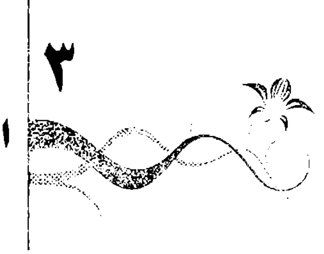
تظـلُّ قوانينُ الكـونِ ونواميسُــه كلُّها تؤمنُ بهــذا الجهدِ، وتقدِّر له حقَّه، لكنها تخرُّ ساجدةً مذعِنَةً لصاحبه الأول، غارقــةً في حبِّه والثناء عليه، ذلك لأنَّ معاناةَ الغرس في البداية أكبرُ بكثير من تعاهده بعد الكبر بالماء.

إنَّنـي أودُّ أن أقولَ لكلٍّ من يقرأ أسطري هذه اللحظةَ: **إنَّ قيمةَ الإنسان وحياتَه وروحَه منوطةٌ بمشروع يتبنَّاه فـي حياتـه، يعيشُ بـه هـو أوَّلاً أنفسَ لحظاتِـه، وأروعَ دقائـقِ أيَّامـه، ثـمَّ يمـدُّ به في خطـوِ الأمَّـةِ، ويباركُ به مسـتقبلَها، ويثبِّـتُ به في النِّهايـة قدمَها على الأرض.. ويلقـى الله تعالـى يومَ القيامةِ والأفراحُ أقصـرُ ما تعبِّر عن تلك اللحظات، وقد لا يدركُ الإنسانُ كم هي أرباحه بمشـروعه إلا حين يقفُ على أجوره وحسـناته وتاريخه التي أودعه في تلك الأوقات من عمره.**

وتعظُمُ في عينِ الصَّغيرِ صِغارُها

وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

❊ ❊ ❊



٣
المشروعُ والأحلامُ

أحلامُـك التـي تعيشُها هـي واقعُك الَّـذي تكتبُه غداً فـي طيَّات الأيامِ، ومَـنْ لا حلمَ له لا مشروعَ له في قادمِ الأيَّام.

إنَّ المشاريعَ الكبرى التي تُرى ماثلةً اليومَ في الواقع كانـت بالأمسـ أحلاماً في أذهـانِ أصحابهـا، وأمنياتٍ تتلظَّـى بهـا قلوبُهـم، وتاريخـاً يتنفَّسونه فـي كلِّ لحظة أمـل، وفي كلِّ إشراقـةِ روحٍ.. ودارتِ الأيامُ، وكتبتْ هذه الأماني واقعاً يترجمُ تلك المشاعرَ، ويكتبُ رحلةَ الإنسانِ كإنسانٍ.

إنَّنـي أتحـدَّى كلَّ إنسان تراه اليـوم متلبِّساً بمشروعه يعيش لحظاتِ النَّجاحِ فيه أن يقول: إنَّ هذا المشروعَ وُلدَ

اللحظــةَ، ولم يكن لــه حلماً، ولم تكن أمانٍ تخامرُ عقله، وتتنفســ في مشاعره، ويعيشــ لحظاته تخطو على الواقع وهو لم يزلْ حلماً في ذاكرته.

إنَّ من الصعوبة جدّاً أن ترى مشروعاً قفزَ إلى الواقعِ ولم ينضج بعدُ في الرَّأس، أو لم يجدْ جولتَه الكبرى في الذاكـرةِ، وإذا وجدت ذلك فالأيـامُ القادمةُ كفيلةٌ بمَحْوِهِ من الواقع، والصَّلاةِ عليه صلاةَ الغائبِ.

إنَّ الرجـالَ فـي الأرضِ هـم فـي البدايـة طموحـاتُ أنفسِـهم، وواقــعُ آمالِهم، وذكرياتُ تفكيرهـم، وقد رأيتُ أناسـاً تنضـج مشـاريعُهم فـي الذَّاكـرة والأحلامِ سـنينَ طويلةً، ثمَّ غابوا عنَّا، وطالَ زمنُ غيابهم، فإذا بالأخبار ترحـل إلينـا بمشـاريعهم قبـل أن نجـد خبـراً واحـداً لحياتهم، وكذلك الأحلامُ تصنع هذه الأحداثَ.

إنَّ الأحــلامَ الكبيــرةَ يصنعُهــا الكبــارُ مــن الرِّجــال، والأمانــيَّ العظــامَ لا تجــدُ مكانــاً أنســبَ لها مــن عقولِ الكبــار، ويستحيلُ أن تجــدَ ضعيفاً منهزماً في ذاته يفكّرُ في مشروعٍ يفجِّرُ به طاقاتِه، ويبني به آمالَ أمَّتِه، ويكتبُ مــن خلاله تاريخَ الكبــارِ في رحلتِهمْ في الحيــاةِ.. وإنَّما

الأمانــي الكبــارُ، والمشاريــعُ الجبَّــارةُ، يصنعُهــا الكبَارُ، ويكتبُها الواثقونَ من أنفسهم فحسب.

فأنـتَ مـا تفكّر فيـه، هذا أقربُ تعريفٍ لشخصـيتكَ، وأدقُّ عنوانٍ يعرِّفُ بك عامَّةَ النَّاسِ.

إنَّ هــذه الأحلامَ هــي الَّتي يدفعُنا إليهــا القرآنُ دفعاً كبيــراً، ويجبرُنا على التَّحليق في سمائِها، والرَّكض إليها بكلِّ شوق، نقرأ ذلك في سورة الفرقان على ألسنةِ الكبارِ وهم يردِّدون: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]..

فيا للّه ما أروعَهَا من أمنيةٍ! وما ألذَّها منْ تطلُّعاتٍ!..

إمامــةُ المُتَّقين قبلَ أن تكــونَ واقعاً على الأرض لا بدَّ أن تكــونَ حلمــاً كبيراً فــي النَّفس، لا بــدَّ أن تكونَ سوطاً علــى القلب يدفعُ إلــى ركوبِ الأهوالِ للوصــولِ إلى روائعِ الغايات..

إنَّ مــن يقرأ هذه الآية ينضجُ في عقله هذا المعنى، ويدفــع به إلى تصوُّر نهايتــه، ويجد للآية معنًى مختلفاً عــن أي قارئ آخــر، والذي يجلس فــي محرابه، أو في لحظات خلوته، أو في ساعات الليل المتأخِّرة يردِّدُ هذا

الدعــاءَ، تجدُه عاشَه روحاً ومعنًــى وتفكيراً وحياة، قبل أن يــراه واقعــاً تدفعُه اللحظــاتُ إلى المثــولِ بين يدي الواقعِ.

والــذي يقــرأ هــذا المعنَى أو يكرِّره في دعــاءٍ لا يجلسُ ينتظرُ هبةَ السَّماءِ تتنزّلُ باردة، وإنَّما تذهبُ كلُّ لحظةٍ من حياتــه تجوبُ الأرضَ تبحثُ عنِ المشروعِ ذاتِهِ وهي تدعو اللّهَ تعالى أن تعانقَه في كلِّ لحظةٍ.

إنَّ مــا أقولُ لك في هذه اللحظــةِ، وأؤكّدُ عليكَ معناه كثيــراً، وهو رأسُ الأمــرِ وعمودُه وذِروَةُ سَنَامِــهِ: أنْ تخلوَ بنفســكَ لحظــاتٍ طويلــةً، وأنْ تفكّرَ فــي مشروعِك، وأن تتــركَ لنفســكَ أن تتخيَّلَ من أنت في قــادم الأيَّام؟ وما مشروعُــك الكبيرُ فــي الأرض؟ وما الشــيءُ الذي تودُّ أن تصنعه في المستقبل ليكــونَ تاريخَكَ كإنسانٍ.. وأوصيكَ أن تــدعَ المجــالَ لنفســك تتخيّــل مــا تشاءُ، فحــرامٌ أن تحبِسَها فلا ترى مستقبلَها يُورِقُ قبلَ الأوانِ.

إنَّ الزمــنَ الَّــذي تتركُــه لتخيُّــلِ مشــروعِ حياتــكِ هو أثمــنُ لحظــةٍ تمــر عليــكَ فــي تاريــخ العمــلِ كلِّــه، وهي حقيقةٌ بالتأنِّي والتأمُّلِ والتَّفكيرِ..

فكّرْ، وتأمَّلْ، وردِّدْ في كلِّ لحظةٍ من حياتك:

ونحنُ أناسٌ لا توسُّطَ بيننَا

لنا الصَّدرُ دُونَ العالمينَ أوِ القَبْرُ

تهونُ علينَا في المَعالي نفوسُنا

ومنْ يخطبِ الحسناءَ لَمْ يغلهَا المهرُ

* * *

٤
المشروعُ والقِمَّةُ

القمَّةُ ذلك المكانُ الَّذي ترنو إليه أرواحُ الكبارِ، وتسمُو إليه نفوسُ الناجحينَ، وتهفو إلى عليائه أشواقُ المحبِّين، مـا رأيتُ مكانـاً تأتلفُ عليه القلوبُ حبّـاً، وترمقُهُ العيونُ غِبْطَةً، وتهتفُ به القلوبُ لوعةً كالقِمَّةِ.

إنَّها لذةُ القلبِ، ولحظاتُ الانتصارِ، وخاتمةُ المطافِ، ودليـلُ التفـوُّقِ، وعنـوانُ الكبارِ، وهـي دواءٌ لـكلِّ مُجْهَدٍ، وراحةٌ لكلِّ مكدودٍ، وخاتمةٌ لكلِّ صاحبِ مشروعٍ.

والعلاقـةُ بيـن المشـروعِ والقِمَّـةِ علاقةٌ وطيـدةٌ تبدأُ خُطْوَتها الأولـى من المشروعِ، وتختمُ خُطُواتِها على تلالِ القِمَّةِ ذاتِها.. وهل يجدُ إنسانٌ أروحَ له من هذه العلاقةِ، وأطيبَ من تلك الوشيجةِ الرَّائعةِ.

المشــروعُ تعــبٌ وعناءٌ ورحلــةُ حياةٍ، وفــي النِّهايةِ لذَّةٌ وتاريخٌ وحياةٌ..

المشــروعُ تفرّغٌ من متعِ الحيــاةِ، وسفرٌ عن هوامِشِها، ورحلةٌ مــن تفاهاتِها، وإلى أين؟.. إلى تاريخٍ يبرقُ ذهباً، وعزٍّ يلبسُـ تاجاً، وروحٍ ترفرفُ فــي المعالي، وتجدُ أروعَ لحظاتِها في متعِ الحياةِ الكبرى..

القِمَّةُ لذيذةٌ وممتعةٌ، وهي المكانُ الوحيدُ الَّذي يصفِّقُ عليــه الناجحونَ بهجةً، وينــادى بأسمائهم هناك فرحةً.. إنَّــه المكانُ الَّذي تُطوى القلوبُ كمداً على فواتِ لحظاتِهِ، المشروع الذي يختطُّــه الإِنسانُ لحياته هو المركب الذي يصعده ذلك الإنسان نحو القمة، لا يبالي بطولِ مسافتِها، أو مشقَّة رحلتِها.

لا أعلــم صاحبَ مشروع عاشَ حياتَه لمشروعِه، ونذرَ وقتَــهُ لنَجَاحِهِ، وبذلَ فيه كلَّ ما يملكُ من جهدٍ وعناءٍ إلا عانق القِمَّةَ والتذَّ بجمالها، وعاش لحظاتِها لحظةً لحظةً، وصار التميّزُ والنَّجاحُ والتفوّقُ والإنجازُ وَسْماً له تلقاه في كلِّ طريقٍ، وتهتفُ به في كلِّ مكانٍ.

وهكذا تظلُّ الدُّنيا كلُّها حافلةً بذكرِ أصحابِ المشاريع، وتظلُّ مشاريعُهم طريَّةً بذكرياتِهم، ويذهبُ النَّاسُ إلى كلِّ موقـعٍ من الأرضِ، وتبقى القِمَّةُ لأصحـابِ المشاريعِ هي الأرض التي عاشوا فيها، ورحلوا، وبقيت ذكرياتهم خالدةً فيها.

أأبيتُ سهرانَ الدُّجَا وتبيتُه

نوماً وتبغِي بعدَ ذاكَ لحَاقِي

* * *

٥
المشروعُ والتاريخُ

لـم يتملَّكني شعـورٌ بالسَّعادة مثلَ تلـك اللحظاتِ الَّتي أجدُنـي فيهـا مجْهَداً فـي بنـاءِ مشـروعٍ، ومستغرقاً في لحظـاتِ البنـاءِ، وسابحـاً في لحظـاتِ العمـلِ والتَّحدِّي ومغالبـةِ الصُّعوبـات والعقباتِ، تلك اللحظـاتُ أجدُ فيها معنَـى السَّعادةِ بكلِّ تفاصيلها، وأجـدُ فيها معنَى الإنسانِ كإنســانٍ، وأشعـرُ فيها بأنَّها رحلةُ حيـاةٍ بكلِّ ما فيها من تفاصيل.

كنتُ أعتقد ذلك، ولا زلتُ، وسـأظلُّ أردِّدُ: إنَّ الميلادَ الحقيقيَّ للإنْسانِ ليسَ تلك اللَّحظة الَّتي يخرجُ صارخاً إلـى الدُّنيـا من رحم أمِّه، وإنَّمـا يولدُ في اللَّحظةِ الَّتي يعثرُ فيها على مشروعِهِ..

اللَّحظـةُ الَّتـي يعثرُ فيهـا الإنسانُ علـى مشروعِهِ هي اللَّحظـةُ الَّتـي لا تعدِلُها لحظةٌ في حياةِ إنسـانٍ.. ولِمَ لا تكونُ كذلك وهـي الحلمُ الضَّائعُ في حياةِ ملايينِ النَّاسِ إلى تاريخ هذه اللَّحظة؟!..

كيـف لا تكـونُ كذلـك وهي اللَّحظـةُ الَّتي كتبـتْ صلةَ الإنسـانِ بالتَّاريـخِ؟! إنَّ الإنسـانَ ينشأُ منبـتَّ الصِّلةِ مِنَ التَّاريـخِ، ثـمَّ ما يلبثُ أن يكـوِّنُ له مشروعاً فـي الحياةِ، فتكبـرُ تلك العلاقةُ بينه وبيـن التَّاريخِ حتَّى تكونَ صفحةً من صفحاتِهِ أو حياةً من ذكرياتِهِ.

افتـحْ كُتُبَ التَّاريـخِ، وقَلِّبْ صَفَحَاتِهـا صفحةً صفحةً، ستجـدُ ورّاثَ تلك الأوراقِ، وساكني تلك المقامات، وروّاد تلـك الأماكنِ، وعنوانيـنَ تلك الكتب أصحـاب المشاريع فحسـب، ولولا أصحـابُ المشاريعِ لمـا كان للتَّاريخ حياةٌ في قلبِ إنسانٍ.

إنَّ غالـب النَّاسِ اليومَ يعيشونَ حياةً واحـدةً، يلتذُّونَ فيهـا بِمُتَعِهَـا، ويجـدُون فيها غاياتِهـا، ثمَّ تنطفـئُ تلكَ اللَّحظـاتُ، فيموتُ ذكرُ الإنسـانِ من الحياةِ كلِّها، وينْسَى التاريـخُ إنسانـاً عاش زمناً طويلاً علـى الأرض ثمَّ رَحَلَ،

أمَّـا أصحـابُ المشاريعِ فلا يجـدُ إليهمُ المـوتُ طريقاً، ويبقونَ أحياءً ما بقيتِ الدُّنيا.

إنَّ أصحـابَ المشاريـعِ تجـرِي عليهـم سنـنُ الحياةِ، ويرحلـونَ بأجسادهـمْ، أمَّـا أرواحُهُم فتظـلُّ حاضرةً في قلـوبِ النَّاسِ، لا تأتي الدُّنيـا على زوالها مهمـا تعاقبتْ سنُونهـا علـى رحيـلِ صاحبِ مشـروعٍ، وإذا كانـت عادةُ التَّاريـخِ أنَّه لا يلتفتُ إلى الأمـمِ الَّتي تغطُّ في نومِها كما يقول مالك بن نبي، فكذلك عادةُ التَّاريخِ أنَّه لا يلتفتُ إلى الأفرادِ الَّذين لم يستيقظوا بعدُ من رقدتِهِمْ وغَفْلَتِهِم.

إنَّ التاريـخ لا يعتـرف إلاَّ بأصحـاب المشاريـع، فهُم عشّاقُ مجدِهِ، وبناةُ حضارَتِـهِ، وكُتّابُ صفحاتِهِ، وغيرُهم علـى الهامشِ بعـدُ لم يصلْ إلـى أرض النِّـزالِ، ومواقعِ التحدِّي، ولحظاتِ التَّاريخِ..

وثمـةَ قصَّةٌ تعطي رسالةً كبيـرةً جدّاً في هذه العلاقة بيـنَ صاحـبِ المشـروعِ والتَّاريـخ، وهـي قصة (شـفيق جبـر)؛ حيثُ كانَ هـذا الرَّجلُ كثيرَ الأسفارِ بينَ البلدانِ، كانَ يسافـر ليـرى الناسَ، ويرصـدَ حياتَهُـم وتاريخَهُم، ولحظاتِهم..

وذات مـرةٍ زارَ بلداً من البلدان الكبرى، فوجد النَّاسَ يذهبونَ إلى قبورِ ذلك البلدِ يتأمَّلونَ فيها ويعودونَ منها، فمـا لبثَ أن ذهبَ معهم، وبينمـا هو بين تلك القبورِ مع عامَّـةِ النَّاسِ هناك؛ لفَتَ انتباهَهُ أنَّ على كلِّ قبرٍ حجراً، مكتوباً عليه اسمَ الميـتِ في ذلك القبر، وتاريخَ ميلادِه، وزمانَ وفاته، إلاَّ أنَّ الغريب في الأمرِ كلِّه أنَّ ثمَّةَ مفارقةً عجيبـةً، ومسألةً غامضةً فيما بيـن تاريخ الميلاد وتاريخ الوفـاة، فيجد أنَّ صاحبَ هذا القبرِ وُلدَ عام (١٩٥٠م)، وتُوفِّـي عـام (١٩٩٠م)، وعمـره عـامٌ واحـدٌ، وآخر وُلد فـي عـام (١٩١٠م)، وتُوفِّي في عـام (١٩٨٠م)، وعمره عشـرون عاماً، فظنَّ أنَّ ثمَّةَ خطـأ في تدوين تاريخ عمر كلِّ إنسان!..

فخـرج من المقبـرةِ ولقي من لقي هنـاك فسأله عن هـذه المفارقة بيـن تاريخ الميـلاد وتاريـخ الوفاة وعمر الإنسان، فقال له ذلك الإنسان: إنَّنا هنا في هذه المدينةِ لا نحسـب من عمـر الإنسان إلاَّ الذي قضـاه في مشروعٍ لمجتمعِهِ وأمَّتِهِ، وما عدا ذلك من عمر الإنسان فهباءٌ لا فائدةَ فيه!..

فرجـعَ شفيق جبـر إلى نفسه سائـلًا: وأنا ماذا فعلتُ في هذه السنينَ الطَّويلةِ مِنْ حياتي؟!.

ثـم قال يحكـي قصَّتَـه وتاريخَـهُ، وهـي ذاتُ القصَّة والتَّاريـخ لأممٍ مـنَ النَّاسِ اليومَ على ظهـرِ الأرضِ؛ قال فيهـا لمن سأله: وأنا إذا متُّ عندكم فاكتبوا على قبري: «شفيق جبر.. من بطن أمه إلى عالم القبر».

وصـدقَ في ذلك؛ فإنَّ أعمارَ النَّاسِ، وتاريخَ حياتِهِم، ورحلةَ أيَّامهم الكبرى ليست هي السنين الَّتي عاشها هنا أو هنـاك، وإنَّما العمـرُ الحقيقيُّ للإنسانِ هي تلك الأيامُ الَّتـي عاشَها في مشـروعٍ، وكتبَ من خلال ذلك المشروع تاريخَه الَّذي يُكتبُ في النِّهايةِ على قبره.

وقد خلّدَ الطنطـاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنى في رسالةٍ قال فيهـا: **إنَّ حياةَ الإنسـانِ ليسـتْ بطـولِ السِّـنين، وإنَّمـا بعرضِ الأحداثِ الَّتي يترُكها في الأرض..**

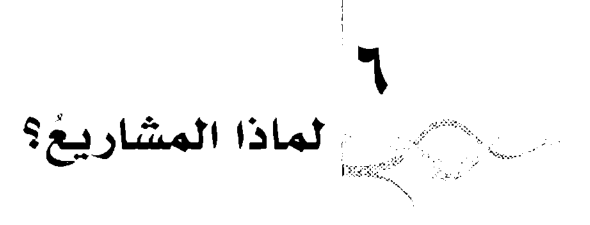
وصـدقَ واللّهِ؛ فليسَ ثمَّـةَ فرقٌ في طـولِ السِّنين بين النَّاسِ، وإنَّمـا الفـرقُ يكمنُ فـي الأحداثِ التَّـي يتركها الإنسانُ قبلَ أن يرحلَ عن عالم الأرضِ.

ولم يلـوِ عنقي للالتفاتِ شيءٌ ما يلويهــا إنسانٌ ذهبَ يكتـبُ تاريخَـه ولم يتوقَّفْ لعَقَبَةٍ مـن عقباتِهِ حتى الآن.. وإنِّي على ذِكراه وهو يردِّدُ في العالمين:

فَاعْمَلْ لنَفْسِكَ بَعْدَ موتِكَ ذِكْرَهَا

فالذِّكْرُ للإنْسانِ عُمْرٌ ثَاني

❊ ❊ ❊



٦
لماذا المشاريعُ؟

لعلَّ من الأسئلةِ الَّتي تدورُ في ذهنِ القارئ لهذا الكتابِ هذا التَّساؤل:

لماذا المشاريعُ بالذَّات؟ لماذا هذا الحديثُ الطويلُ عنها مع أنه يمكنُ للإنسانِ أن يقدِّمَ في تاريخِ حياتِهِ عملاً لا تنطبقُ عليه صفةُ المشروعِ، لكنَّه عملٌ مباركٌ نافعٌ يخدم به نفسَه، ويدعم به رسالةَ مجتمعِهِ ووطنِهِ وأمَّتِهِ؟.

وإنَّني هنا حينَ أؤكِّدُ على المشروعِ بالذَّات، وأدعُو إلى اعتناقِهِ، وأدفعكَ أيُّها القارئُ الكريمُ لتمثُّله في حياتك، وذلك لجملة أسبابٍ:

أوَّلاً: إنَّ المشروعَ يختلفُ عن أيِّ عملٍ آخرَ؛ لأنَّ كلَّ عملٍ لم يَتَلَبَّسْ باسمِ المشروعِ صارَ إلى الزوال أقربَ

منـه إلى الـدوام، فغالبُ الأعمـالِ التي يقدِّمهـا الإنسانُ فـي حياته تنتهي بانتهاءِ اللَّحظة الَّتي يفارقها فيها، وفي انتهاءِ العملِ توقُّفٌ لرحلةِ الأجرِ في حياتِكَ.

إنَّ كلَّ إنســانٍ يهفو للَّحظاتِ الَّتــي يستمرُّ فيها أجرُه، وينتظرُ اللَّحظات الَّتي تزيدُ فيها حسناتُه، وحاجةُ الإنسانِ إلى حسناتٍ دائمةٍ وأجورٍ مستمرَّةٍ أبلغُ من كلِّ حاجةٍ في الدُّنيا، وهذا كلُّه مقرونٌ برحلةِ الإنسانِ في مشروعٍ، غير متوفر في بقية الأعمال مهما كانت زاكيةً وكبيرةً.

إنَّ حجـمَ المشروعِ في حيـاةِ الإنسانِ يحتاجُ إلى جهدٍ وعنـاءٍ، وبذلٍ وتضحيـةٍ، وقد بلغكَ أنَّ أجـرَ الإنسانِ في الدُّنيـا علـى قـدرِ مشقَّتِهِ، فالفـرقُ بينَ العمـلِ الطَّارئِ علـى إنسانٍ وبينَ المشروعِ فرقٌ هائـلٌ؛ فالمشروعُ يحتاجُ إلـى تضحياتٍ كبيرةٍ،ولذلك يظلُّ أجرُه كبيراً، والحسناتُ العائدةُ منه أكبرُ من كلِّ عملٍ مهما كانَ.

ثانيـاً: إنَّ كلَّ إنســانٍ يهفـو للَّحظـةِ الَّتـي يصنعُ فيها تاريـخَ مجتمعه، ويكتبُ فيهـا كيانَ أمته، وتظـلُّ الأعمالُ مهما بلغتْ قليلةَ القدرِ، ضعيفةَ الأثرِ في تحقيقِ الأهدافِ الكبرى التي نريدها على مستوى الأمَّةِ.

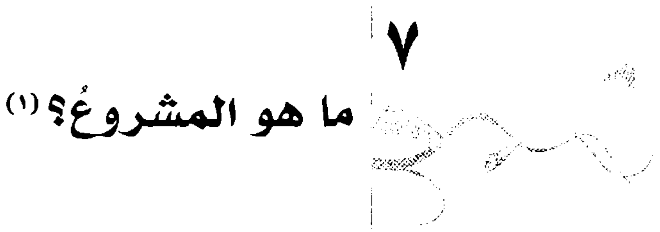
إنَّ ميِّــزةَ المشاريــعِ أنَّهــا كبيــرةٌ، وتحتــاجُ إلى جهودٍ ضخمــةٍ، وكلَّما كانَ العملُ يلبسُ أثرَ المشروعِ وقيمتَهُ كان سهمُــه في الإصلاحِ أكبرَ وأفضلَ، وأسَدَّ لحاجةِ الأمَّةِ من غيرِه.

إنَّ أمتَنَــا اليومَ في أمسِّ الحاجــةِ إلى رجالٍ يمثِّلونهَا، ويقفــونَ علــى ثُغُورِهَــا، ويجــودُون بــكلِّ ما يملكــونَ لسدِّ حاجتِهــا، وحين يتزاحمُ أفرادُها علــى كتابةِ تاريخِها لن يجــدوا أكثرَ أثراً من تزاحمِهم علــى إقامةِ مشاريعَ تدفعُ بِعَجَلَتِهــا إلى الصُّفوفِ الأوَلِ، ويظلُّ أي عملٍ قاصراً على أن يحقِّق تلك الآمالَ الكبيرةَ الَّتي تظلُّ حاجةُ الأمَّةِ معلقةً بها.

ثالثــاً: إنَّ العملَ فــي مشروعٍ يظلُّ أعظمَ تحدٍّ يخوضُه الإنســانُ فــي حياتِه، وهو كذلك برهانٌ كبيــرٌ على تحمُّلِ هذه النُّفوسِ لهمومِ الأمَّةِ، وتكاليفِ مستقبلِها مهما كانت، وهو كذلك تجربةٌ رائعةٌ وكبيرةٌ لخوضِ غمارِ التَّحدِّي مع ذاتِ الإنسانِ لاعتناقِ مشروعِ الحياةِ، والنفرة بهذه الروحِ إلــى عالمِ العمــلِ والتَّحــدِّي والسِّباقِ نحــو المعالي مهما كانتْ تكلِفَتُها.

إنَّ العملَ مهما كانَ كبيراً يظلُّ اختبارُ الإنسانِ لقدراتِه فيـه ضعيفـاً، ولا يتمكَّن مـن الوقوفِ على قـدراتِ نفسه وتطلُّعاتِهـا في الحياةِ، وقدرتِها على خوضِ غمارِ التَّحدِّي ما لـم يتلبَّسْ بمشـروعٍ تلبُّسَه بروحِـه، وحين يكون ذلك يقفُ على قدراتِهِ كلِّها بوضوحٍ.

❊ ❊ ❊



٧
ما هو المشروعُ؟[١]

المشـروعُ العُمُريُّ هو مشـروعٌ تتَّضِحُ في ذهنِ صاحبِه أهدافُهُ، وتستولي فكرتُه على فكرِه وعقلِه، ويبذلُ له جميعَ طاقاتِه..

هـذا هـو مشـروعُ العمرِ الـذي نصبتُ لـك رايةَ هذا الكتـابِ مـن أجلِـه، وفرضتُ لك مـن سنامِ وقتـي أجلَّه وأروعَه، وكتبتُ إليك به وروحي تنزعُ إلى حروفِهِ وأسطرِه أروعَ لحظاتها.

مشـروعُ العُمُرِ عملٌ تتبنَّاهُ لنَفْسِـكَ، فتخدمُ به دينَك ومجتمعَك، وتكتبُ به رحلةَ أمَّتِك في الأرضِ.

---

(١) نشوء الفكرة كان قبل سنوات طويلة إثر كلمة سمعتها من فضيلة الدكتور عبد الله الشهراني في لقاء جمعني به، قلت ذلك عرفاناً لصاحب الفضل الأول، وحتى ندرك أهمية وأثر الكلمة العملية التي تلبس ثوب الصدق، وماذا تترك في قلوب الآخرين.

هــو الهــدفُ الكبيرُ الــذي نصبتَه لنفســك، وتوجهتَ إليــه بقلبِــك، وسعيتَ لــه بكلِّ ما تملكُ مــن وقتٍ وجهدٍ ومالٍ، ليكونَ شيئاً ماثلاً في الحقيقةِ، وكائناً حقيقيّاً في الأرضِ.

هــو في النهايةِ رسالتُك ورؤيتُك التــي كتبتَها لنفسِكَ، وتودُّ أن تكونَ هي بذاتِها شيئاً ماثلاً، وحقيقةً واقعيةً.

هــو مشروعٌ يلامسُ مشاعرَك، ويهتــفُ بقلبِك، وتجدُ روحَك فيه كأنك تولدُ عند ذكرِه من جديدٍ.

هــو عمــلٌ يلــدُ ـ أولَ ما يلدُ ـ فكرةً فــي ذهنك، ثمَّ ينمو كلَّ لحظةٍ من عمركَ كما ينمو الجنينُ، ويشبُّ مع الأيَّــام حتَّى يكونَ كلَّ شــيءٍ في حياتِك، يلدُ ـ كما قلتُ ـ فكــرةً، ثمَّ تتعاهدُها بأحلامِك، وتفكيرِك، وتشغلُ بها نفسَك في كلِّ يوم، حتَّى تراها في كلِّ موقفٍ، وتتجَّسدها في كلِّ لقاء..

إذاً مشــروعُ العمرِ عمــلٌ تحبُّه وتهواه، قد يكونُ هذا العمــلُ علميّاً، وقــد يكونُ تربويّاً، وقد يكــونُ اجتماعيّاً، وقــد يكــونُ ما يكــونَ... المهــمُّ أنَّه فــي النِّهايــةِ عملٌ

ورسالــةٌ، وشــيءٌ يمكــن أن يكــونَ مشروعاً كبيــراً في مستقبلِ الأيَّامِ.

المهم أن يكونَ هذا العملُ كياناً في قادم الأيَّامِ يستطيع أن يقـف على قدمِه، ويدعو النَّاسَ إلى رؤيتِهِ ومشاهدتِهِ، وتشرفُ أنتَ أن يكون لك هذا المشروعُ في الحياةِ.

* * *

٨

ما الفرقُ بينَ العملِ والمشروعِ؟

قـد يطـرقُ عقلَ القـارئِ سـؤالٌ يقولُ: مـا الفرقُ بين العمـلِ وبين المشـروعِ؟ وهـل كلُّ عملٍ يمارسُـه الإنسانُ فـي حياته يمكـن أن يكونَ مشروعاً؟ ومـا الفروقاتُ بين الأعمالِ والمشروعاتِ؟.

وهـي أسئلـةٌ مهمَّةٌ ومُلِحَّـةٌ ومُؤَثِّرةٌ فـي تحقيقِ غاياتِ الإنسانِ وأمنياتهِ في الحياةِ.

ويمكنُ أن يقالَ في التفريقِ ما يلي:

أولاً: **إنَّ العمـلَ أيّـاً كانَ لا يكتسـب صـفةَ المشـروع حتَّـى يكـونَ الإنسـانُ هو الذي اختارَه وارتضـاهُ لنفسِـه مـن بيـنِ كلِّ الأعمـالِ المطروحـةِ، فهـو قبـل أن يكونَ**

عملاً في الواقعِ كانَ مشروعاً يجدُ له الإنسانُ لذةً ورغبةً عارمةً، واستمتاعاً كبيراً أثناء القيامِ به.

ثانيـاً: **إنَّ المشـروعَ لا يكونُ مشـروعاً حتَّى يسـتنفرَ كلَّ طاقـاتِ الإنسـانِ وإمكاناتِـه، ويسـتحوذَ علـى وقـتِ الإنسـانِ ودقائقِ راحتِهِ، ورحلةِ حياتِه كلِّها**، وكلُّ عملٍ لا يختارُه الإنسانُ لنفسِه، وإنَّما دُفع إليه منْ غيرِه، ولا يجدُ فـي أثنائه لذَّةً ومتعةً وراحةً وحبّاً وشوقاً إلى دقائقِه، ولا يستنفـرُ طاقاتِه كلَّها، ولا يستحوذُ على وقته؛ لا يمكنُ أن يكونَ مشروعَه في الحياةِ.

وهذا كلُّه بخلافِ العملِ العاديِّ الَّذي لا يستحقُّ وصفَ المشـروعِ؛ فهـو عملٌ دُفـعَ إليـه الإنسـانُ أولاً، ولم يكن باختيـارِه، ومضى فيهِ وهو يجدُ في لحظاته تعباً ومشقَّةً، ولا يشعـر فـي أثنائه براحةٍ وطمأنينـةٍ، ولا يجد في قلبه حبّاً يستثيره للتلذذِ بأوقاتِه ولحظاتِه.

وقـد يكونُ دافع العمل حب المشاركـةِ ليس إلاَّ، وقد يكونُ فَرَضَهُ الواقعُ والظُّروفُ المحيطةُ بالإنسانِ، وعلى هـذا لا نقـولُ لأيِّ عملٍ: إنَّـه تحوَّل مشروعـاً في حياة إنسـانٍ حتَّى يختارَه الإنسـانُ هو بنفسه، ويجد له رغبةً

مُلِحَّةً في حياته، ويستهويه لدرجة العشقِ والهوى؛ فينفقُ لأجلِـه، ويسافرُ لأجلـه، ويرحلُ من أجـل الوصولِ إليهِ، ويقـرأ من أجله، ويبذلُ كلَّ ما يمكـن من أجل تحقيقه والوصـول إلى عناقه، وهو مـع ذلك يستنفرُ كلَّ طاقاتِ الإنسـانِ، ويستحـوذُ عليهـا، وينفـرُ بروحه إلـى ركوبِ الأهوال.



٩

هل يمكنُ أنْ يحوِّلَ الإنسانُ ميولَه إلى مشروعٍ ما؟

الأصـلُ أنَّ مشـروعَ الإنسانِ هو مـا استولَى على فكرِه وعقلـه مـنَ البدايـة، وحـلَّ حبُّه في قلبِـه، ووجـدَ لذَّتَه، واستمتَـعَ بدقائقِه كلَّ لحظةٍ، هـذا هو الأصلُ في مشروعِ العمـرِ، ذلك لأنَّ الإنسـانَ حين ينطلقُ فـي مشروعٍ يجدُ لـه هـذه المعالـمَ فـي قلبِـه، ويجدُ الحـادي بعـدَ ذلك لاستنفارِ طاقاتِه، وركوبِ الأهوالِ لاعتناقِ ذلك المشروع، ويسترخصُ في طريقِهِ كلَّ غـالٍ مهما كانَ باهظَ الثَّمنِ، كبيرَ التّكاليفِ، وكلُّ مشروعٍ يجد له الإنسانُ في قلبه هذا الهُتـافَ الكبيرَ في الغالبِ أنَّـه يعيشُ لذَّتَه، ويستفرغُ فيه كلَّ إمكاناتِـهِ، ويصـلُ في النهاية إلـى أن يكونَ المشروعُ حقيقةً على الأرْضِ.

فإنْ لم يجدِ الإنسانُ من نفسِه ميولاً إلى مشروعٍ بهذه الدَّرجـةِ، ولم يتمكَّنْ منَ الوصولِ إلـى مواصفاتِ مشروعٍ بهذا الحجمِ في قلبِه، أو استلذَّ مشروعاً يرى أنَّه لا يمثِّل حجمَ تأثيـره في الحياةِ، ولا ينـاسـبُ قدراتِه وطموحاتِه، وأرادَ أن يلويَ عنقَ هذه الرَّغبةِ إلى مشروعٍ آخر، فيمكن ذلك بشروطٍ:

أولاً: أنْ يتوافـقَ المشـروعُ الجديـدُ مع قـدراتِ ذلك الإنسـانِ، وإمكاناتِه، ويكونَ في النِّهايةِ لديه تصوُّرٌ واضحٌ أنَّـه يمكنُ أنْ يدفـعَ بقوَّته لأنْ يكونَ المشروعَ الأعظمَ في حياتِهِ.

ثانيـاً: ألاَّ يكـونَ الدافع إلى المشـروعِ الجديدِ تقليد فـلانٍ منَ النَّاس، علـى حسابِ ميولِ الإنسـانِ وقدراتِه وإمكاناتِه، فقد يدفعُه التقليدُ دونَ أن يشعرَ إلى مشروعٍ معيَّـنٍ، موهمـاً نفسَه بأنَّـه يوافقُ ميولَـه، ويحقِّقُ له ما يتمنَّـاه، وكلُّ ذلـك خلافُ الواقعِ الَّـذي ينبغي أن يكونَ في حياتِه.

ثالثاً: كلُّ إنسانٍ بصيرٌ بنفسِه في اختيارِ مشروعِه دونَ غيـرِه، فإذا رأى الإنسانُ من نفسِه ميـولاً تُجاهَ المشروعِ

الجديـدِ، ووجدَ إقبــالاً ولو لم يكنْ كبيراً فــي البدايةِ إلاَّ أنَّــه يمكن أن ينمــوَ بالتعاهــدِ، والمواصلــةِ، والاستمرارِ، فيمكــنُ أن يكونَ مجــالاً لتجربةٍ جديدةٍ قادمــةٍ في حياةِ ذلك الإنسانِ.



١٠
أصحابُ المشاريعِ

تظلُّ حاجةُ الإنسانِ إلى القدوةِ كبيرةً ومُلِحَّةً، ويظلُّ كلُّ إنسانٍ يلهثُ وراءَ التَّجربةِ العمليَّةِ أكثرَ من تعلُّقِهِ بالكلمةِ حتَّى وإن كانتْ تطربُ القلبَ وتلهبُ المشاعرَ..

إنَّ أصحابَ المشاريعِ في الأمَّةِ عددٌ كبيرٌ، كتبوا مشاريعَهم تجربةً تطبيقيَّةً، ونجاحاً عمليّاً، ولم يتركوا للكلامِ مساحةً بقدرِ ما تركوا العملَ يتحدَّث عن نفسِه واقعاً تشاهده الأجيال حيّاً قبل أن تقرأَه مكتوباً على صفحاتِ الكتبِ.

ولن آتيَ في لحظاتٍ كهذه على ذكرِهم جميعاً، لكنني سأذكرُ أمثلةً وشواهدَ حيَّةً من السابقينَ، واللاحقينَ؛ مؤمِّلاً أن أجدِّدَ بها الأملَ في حياتِك، وأرسمَ بها مستقبلَ أيَّامِك كأنَّها الربيعُ أو تكادُ:

- **الرُّسلُ عليهم صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه من زمنِ نوحٍ إلى زمنِ محمَّد** ﷺ كلُّهم جاؤُوا بأعظمِ مشروعٍ إلى الدُّنيا: «**مشـروعِ الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى**»، وظلُّوا مستميتيـنَ في تحقيقِ مشاريعِهم، جادِّين في بلوغِها إلــى غاياتِها، وقدْ عاشُوا لها كلَّ لحظةٍ من حياتِهم، وكلُّ صاحـبِ مشروعٍ فـي الأرضِ جزمـاً أنَّه يستقي منهم، ويشربُ من مَعِينِهِم.

- **أبيُّ بنْ كعبٍ الأنصـاريُّ** رضي الله عنه: كان مشروعه: «**حفظ وضـبط كتـابِ اللهِ تعالـى**» لـم يـزلْ عاكفـاً علـى مشروعِـه، مهتمّاً به، غارقاً في تفاصيلِه، حتَّى وصلَ فيـه إلـى الدرجة الَّتي قـالَ النبيُّ ﷺ لـه: «**إنَّ اللهَ أمَرَنـي أنْ أقرأَ عليكَ القرآنَ**» قالَ أبيٌّ: الله سمَّاني لـك؟ قال: «**نعم**» قـالَ: وذُكرتُ عنـد ربِّ العالمينَ؟ قال: «**نعم**».. فذرفت عيناه[1]..

وهـو ممَّن جمع القـرآنَ الكريمَ في زمـنِ النَّبيِّ ﷺ حتَّى ضربَ النبيُّ ﷺ مرَّةً منَ المرَّاتِ صدرَه قائلاً: «**ليهنكَ العلم أبا المنذر**»[2].

---

(١) رواه البخاري: (٤٩٦٠)؛ ومسلم: (٧٩٩).

(٢) رواه مسلم: (٨١٠)؛ وأبو داود: (١٤٦٠).

- **الأَمَـةُ السَّـوداءُ:** التـي كانَ مشروعهـا: «**العنايـة بتنظيفِ مسـجدِ رسـولِ اللهِ ﷺ**».. ظلَّتْ تُعنَى بهذا المشـروعِ حياتَهـا حتَّى إنَّهـا بنتْ خِباءَهـا في ذاتِ المسجـدِ، وهـي تجـدُ روحَهـا وحياتَهـا بيـنَ طيَّاتِ مشروعِهـا، وحينَ دخل النبـيُّ ﷺ مسجدَه ذاتَ يومٍ لم يجدْ صاحبةَ المشروعِ، وراعَهُ فَقْدُها، فسألَ عنها فَـإذا بِصَحَابتِهِ ﷺ يخبرونَه خبرَها.. لقد ماتتْ في ساعـةٍ متأخِّرةٍ منَ اللَّيلِ، فغسَّلوها، وكفَّنوها، وصلَّوا عليهـا، ثمَّ دفنوها ولم يخبـروا نبيَّ اللهِ ﷺ مخافةَ إرهاقِهِ والمشقَّةِ عليهِ.

فـإذا به ﷺ يتأسَّفُ على فواتِها، ثم يفي لصاحبةِ المشـروعِ، ويذهـبُ إلى قبرِها ويصلِّـي عليه وفاءً لحقِّهـا، واعترافـاً بمشروعها، ولا أعلـم إلى هذه اللحظـةِ أنَّ النبيَّ ﷺ تتبَّعَ جنازةَ امرأةٍ إلى القبرِ بعدَ الصَّلاةِ عليها، وفواتِ حظِّه من المشاركةِ في تشييعهـا؛ إلاَّ هذه المرأةَ؛ حتَّـى تُعلمَ عظمةُ ذلك المشـروع في الإسـلامِ، وأنَّ الإسـلامَ يحتفي بكلِّ جهدٍ ومشاركةٍ هدفُها إيصالُ رسالتِهِ وتبليغُ منهجِهِ حتَّى لو كانَ يقمُّ قمامةَ المسجدِ كلَّ لحظةٍ.

ورحلتِ الأمةُ السوداءُ من الأرضِ، وبقيَ ذكرُ مشروعِها في حياةِ النّاس اليومَ كعبقِ الطِّيبِ أو أكثر.

- **عمرُ بنُ الخطَّابِ** رضي الله عنه: كانَ أحدُ مشاريعِه: «**تعلُّم سورةِ البقرةِ، وفقه معانِيها، وتدبُّر ما فيها من آياتٍ**».. واستغرقَ لإتمام هذا المشروعِ اثني عَشَرَ عاماً، ثمَّ نحر جزوراً على تمام مشروعِه، وهذا الزَّمن الذي قضاه في مشروعِه يدلُّكَ على عمقِه في نفسه، وأثرِه في تكوينِ حياتِه، وأفراحُه بنحرِ الجزورِ على نهايتِه وتمامِه يدلُّكَ على عظمتِه في نفسِه، وغايتِه في تحقيقِ آمالِه.

- **حسَّانُ بنُ ثابتٍ** رضي الله عنه: كانَ مشروعه الَّذي عاشَ له: «**الشِّعر**».. حتَّى كانَ شاعرَ رسولِ اللهِ ﷺ في زمنِه، وتقوَّتْ الدَّعوةُ بمشروعِه، وشاعَ بِهِ دينُ اللهِ تعالى في الأرضِ، وهَزَمَ به الأعداءَ هزائمَ نفسيَّةً في مواقفَ كثيرةٍ؛ حتَّى قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أجبْ عَنِّي، أيَّدكَ اللهُ بروحِ القُدُسِ**».

وقالَ لَهُ ﷺ: «**اهجُهُم وجبريلُ معكَ**».

وقال ﷺ في بيانِ أثرِ المشروعِ في رفعةِ الدِّينِ، وهزيمةِ الباطلِ: «**إنَّه أشدُّ عليهم منْ وقْعِ النَّبْلِ**».

- **خالدُ بنُ الوليدِ** ﷺ: كانَ مشروعه الَّذي عاشَ له دقائقَ حياتِهِ وتفاصيلَ عُمُرِه: «**الجهاد في سبيل الله**».. حتَّى قال الذهبيُّ عنه: «سيفُ اللهِ تعالى، وفارسُ الإسلامِ، وليثُ المَشَاهِدِ، السيِّدُ الإمامُ، الأميرُ الكبيرُ، قائدُ المجاهدينَ، أبو سُلَيمانَ المخزوميُّ المَكِّيُّ، شهدَ الفتحَ وحُنيناً، وتأمَّر في أيَّام النَّبيِّ ﷺ، واحتبسَ أدْرَاعَه وَلأْمَتَهُ في سبيلِ اللهِ، وحاربَ أهلَ الرِّدَّةِ ومُسيلمةَ، وَغزا العراقَ، واستظهرَ ثمَّ اخترقَ البريَّةَ السماويَّةَ؛ بحيثُ قطعَ المفازةَ من حدِّ العراقِ إلى أوَّل الشامِ في خمسِ ليالٍ في عسكرٍ معه، وشهدَ حروبَ الشَّام، ولم يبقَ في جسدِه قيدُ شبرٍ إلاَّ وعليه طابعُ الشَّهادةِ، عاشَ ستينَ سنةً، وقَتلَ جماعةً منَ الأبطالِ، وماتَ على فراشِه؛ فلا قرَّتْ أعينُ الجبناءِ».اهـ.

ووصلَ شغفُهُ بمشروعِه وحبُّه له وانتماؤُه إليه حتَّى قال: ما منْ ليلةٍ يُهدى إليّ فيها عروسٌ أنا لها محبٌّ أحبَّ إليَّ من ليلةٍ شديدةِ البردِ، كثيرةِ الجليدِ، في سريَّةٍ أصبّحُ فيها العدوَّ.

وتعذَّرَ في آخِرِ حياتِه عن بُعده عن كثرةِ قراءةِ القرآنِ بمشروعِهِ قائلاً: منعني الجهادُ كثيراً مِنَ القراءةِ..

وها هـو يبكي في آخِرِ لحظاتِه فـي الدُّنيا، ويكتبُ لنا بمدادٍ من ذَهَبٍ عظمةَ المشروعِ في حياتِهِ قائلاً: لقيتُ كـذا وكذا زحفاً، وما في جسـدي شبرٌ إلا وفيه ضربةٌ بسيـفٍ أو رميـةٌ بسهم، وهـا أنذا أموتُ علـى فراشِي حتفَ أنفي كما يموتُ البعيرُ، فلا نامتْ أعينُ الجبناءِ.

- **عائشـةُ بنـتُ أبي بكـرٍ الصِّـدِّيقِ** رضي الله عنهما: كانَ مشروعها الـذي عاشتْ له حياتَها: «**العلم**»؛ حتَّى بلغَ مُسندُها «ألفيـنِ ومئتينِ وعشرةَ أحاديـثَ».. قالَ الذَّهبيُّ: ولا أعلـمُ فـي أمَّـةِ محمدٍ ﷺ مـنَ النِّساءِ، بـلْ ولا في النِّساء مطلقاً امرأةً أعلمَ منها. اهـ.

- **أبوْ هُريرةَ الصَّحَابيُّ الجَليـلُ** رضي الله عنه: صاحبُ مشروع عاشَ له لحظاتِـه، وبذلَ فيه أوقاتَـه، وأودعَ فيه كلَّ مـا يملكُ مـن جهدٍ، وفـي النِّهايةِ غـادرَ أبو هريرةَ الأرضَ، وظلَّ مشروعُه نهـراً دافقاً يجري في جسدِ الأمَّةِ؛ يحييها كلَّ لحظةٍ، ويهتفُ بها في رحاب السُّنَّةِ النَّبويَّةِ.

مشـروع أبي هريـرة رضي الله عنه: «**حفظُ حديـثِ النَّبيِّ ﷺ**»، ولم يغادِرِ الدُّنيا حتَّى كتبَ جلالةَ مشروعِه وحفظَه لتراثِ الأمَّةِ رغمَ ظروفِ فقرِه، وقلةِ جهدِه، وضعفِه؛ إذ كانَ من أصحـابِ الصُّفَّـةِ الفقراءِ في زمن رسـولِ اللّه ﷺ، ومع ذلك تحدَّث هذا الفقيرُ عن مشروعِه قائلاً: «ما أحدٌ من أصحابِ رسولِ اللّه ﷺ أكثرَ حديثاً منِّي عنه، إلاَّ ما كانَ من عبدِ اللّهِ بن عمرو؛ فإنَّه كانَ يكتبُ ولا أكتبُ».

فللـهِ ما أجـلَّ مشروعَـه! فلو لـم يكنْ منـه إلا حفظُ السُّنَّةِ، وإشاعتُها في النَّاسِ، وحفظُ دينِ اللّهِ تعالى؛ لكانَ كافياً في المقام..

وأنـتَ ترى اليومَ كم هـو أثرُ هذا المشروعِ في حياةِ الأمَّةِ، ولا يُذكرُ اليومَ نبيُّك ﷺ في مجلسٍ، أو لقاءٍ، أو درسٍ، أو اجتمـاعٍ؛ إلاَّ وبِصُحبتِـهِ هذا الصَّحابيُّ الجليلُ رضي الله عنه!.. إنَّها المننُ على أصحابِها تقيمُهم كلَّ لحظةٍ من قبورِهم كأنَّهم أحياءٌ أو يكادُون.

- **عبـدُ الله بـنُ عمـرَ** رضي الله عنهما: كانَ أحـد مشاريعِه: «**تعلّم سورةِ البقرةِ، وفقه معانيها، وتدبُّر آياتِها**» كمشروعِ أبيـه تماماً، وقضى في هـذا المشروعِ ثماني سنواتٍ

قضاهـا كلَّها فـي الرِّحلةِ مع هـذا المشروعِ، وقضى فيهِ أروعَ لحظاتِهِ وأنفاسِهِ.

- **البُخـاريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: ومشروعُـه العُمُري: «**حفـظُ حديثِ رسـولِ اللهِ** ﷺ».. عاشَ لمشروعِـه، وذهـبَ يكتـب أحلامَه كأنَّها الحقيقةُ الناصعةُ في نظره.

بدأَتْ عنايتُه بهذا المشروعِ، واستنهضَ همَّتَه له وهو فـي أيَّام الصِّغَرِ في سنِّ العاشـرةِ، ولم يتركْه حتَّى رحلَ من الأرضِ وعمره اثنتانِ وستُّونَ سنةً؛ إذ قضى فـي مشروعِه ما يزيدُ على خمسينَ سنةً، وهو يجهدُ في بنائِه، ويسعَى لاكتمالِ قوامِه..

وأخيـراً تركَ للأمَّةِ مشروعاً بلـغَ في قامَتِه أنَّه يأتي بعدَ كتابِ اللهِ تعالى.. فيا للهِ ما أعظمَه من مشروعٍ! وما أروعَه من تاريخٍ!..

وهـذا المشروعُ الَّذي تراهُ الأمَّةُ اليومَ بهذا الحجمِ لم يكـنْ وليدَ لحظاتٍ بـاردةٍ.. كلاًّ؛ وإنَّما كانَ ضجيعَ التَّعبِ والهمـومِ والمعاناةِ الكبرى في حياةِ رجلٍ صاحبِ مشروعٍ كالبخـاريِّ، بلغَ من عنايتِـه بمشروعِه أنَّه لم يدوِّنْ حديثاً

واحداً في كتابِه الصَّحيحِ حتَّى يغتسلَ ويُصلِّي ركعتينِ!..

ولـم يرحلْ صاحبُ المشـروعِ حتَّى اعترفَ لهُ أصحابُ الشَّـأنِ، ورفقاءُ الدَّربِ بلقبِ أميرِ المؤمنينَ في الحديثِ، حتِّـى قال ابنُ خزيمةَ واصفـاً صاحبَ المشروعِ: ما تحتَ أديـمِ السَّمـاءِ أعلـمُ بالحديثِ مـن محمَّدِ بـنِ إسماعيلَ البخاريِّ.

وقـالَ أبـو جعفـر: سمعتُ يحيى بـنَ جعفرٍ يقـولُ: لو قُـدِّرَ لي أنْ أزيدَ في عُمُرِ محمدِ بنِ إسماعيلَ من عمري لفعلـتُ؛ فإنَّ موتـي يكونُ موتَ رجلٍ واحـدٍ، وموته ذهاب العلمِ.

فيا للّه! بلغتْ أمنيةُ الكبارِ إلى هذه الدَّرجةِ من التَّقديرِ لأصحابِ المشاريع في الحياةِ.

وودّع البخـاريُّ الدُّنيـا، وتـركَ لنا صحيحَـهُ علامةً شاهـدةً علـى روح مشروعـه وأثره في كتابـة تاريخ الأمـة من جديد، ويكفيه شرَفاً وقدْراً ورفعةً أنْ أقامَ النبـيَّ ﷺ بينَ الأمَّةِ ناطقاً فـي كلِّ لحظةٍ إلى قيامِ السَّاعةِ.

- **الحافظُ ابنُ حَجَرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان مشروعه: «**تأليف كتابِ: فتح الباري شرح صحيحِ البُخاري**»..

وقضَى في مشروعِه خمسةً وعشرينَ عاماً، ثمَّ احتفى بنهايَةِ مشروعِهِ احتفاءً كبيراً، فأقامَ وليمةً على ذلك كلّفتْ ثلاثَمئةِ دينارٍ ذهباً، وذَهَبَ أثرُ مشروعِه عظمةً وأثراً في حياةِ الأمَّةِ، حتَّى قالَ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا هجرةَ بعد الفتح. اهـ.

وها هي الأمَّةُ من تاريخِ الحافظِ إلى يومِهَا هذا يظلُّ هذا المشروعُ هو أعظمَ المشاريعِ الَّتي خُطَّتْ لبيانِ جلالةِ كتابِ صحيحِ البُخاريِّ.

- **ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ: ومشروعه: «**العلم الشرعي، والفقه منه خاصة**».. عاش له حياتَه، وصرفَ فيه أغلى أوقاتِه، وكتبَ في النِّهاية مشروعَه العمليَّ الَّذي خرج به في كتبٍ كثيرةٍ تستنيرُ الأمَّةُ بها اليومَ في كلِّ لحظةٍ من حياتِها، وتجدُ فيها جهده ووقته وحياته وأنفاسَه كأنَّها اللحظاتُ، ولو لم يكن من نتاج مشروعِه إلا كتابُ «**المغني**» لكانَ كافياً في المقام، كافياً في رحلةِ المشاريعِ الَّتي تستضيء بها الأمَّةُ في كلِّ أوقاتها إلى قيامِ السَّاعةِ.

- **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد قدَّم للأمَّةِ مشروعاً فكريّاً كبيراً؛ تمثَّلَ في كتابه: «**العبر، وديوان المبتدأ والخبر**».

ولأثـر هذا المشروعِ وأهمَّيتهِ فـي حياةِ الأممِ اليوم رُفـع به ابنُ خلـدونَ إلى كبار المفكِّريـنَ؛ حتَّى قيلَ عن مشروعِهِ: عملٌ لم يقمْ بمثلِهِ إنسانٌ في أيِّ زمانٍ ومكانٍ!..

- **جابـر بن حيان**: ومشروعه: «**علـمُ الكيمياءِ**» الَّذي بـرعَ فيه، وصرفَ له كلَّ مـا يملكُ من وقتٍ وجهدٍ وعناءٍ، حتَّى صارَ هذا العلمُ يعرفُ به؛ فيقالُ: علمُ جابرٍ! حتَّـى قالَ عنه ابنُ خلدون: إمـامُ المدوِّنينَ فـي علـم الكيميـاءِ: جابـرُ بنُ حيَّـانَ، حتَّـى إنَّهم يخصُّونَهـا بهِ فيسمُّونهـا: «علمُ جابـرٍ».. وله فيها سبعونَ رسالةً. اهـ.

وعُدَّ صاحبُ المشروعِ أوَّلَ من أدخلَ التَّجربةَ العلميَّةَ المخبريَّـةَ في منهجِ البحـثِ العلميِّ، وقد عكفَ على مشروعِه واهتمَّ به وعني بنجاحه، وكتبَ فيه مؤلفات، وتُرجمتْ هذه الكتبُ إلى اللُّغةِ اللاتينيةِ، وظلَّتْ هذه

الكتـبُ هــي المرجعَ الأوفى للكيميـاءِ قريباً من ألفِ عامٍ.

- **محمَّـدُ بـنُ مُوسـى الخوارزمـيُّ**: ومشروعُـه: «**علـم الجبـر**» والَّـذي يُعـرف باسمِـه إلى اليـوم في بلادِ الدُّنيـا، واعترفَ علماءُ الغـربِ قاطبةً بأثرِه في علمِ الجبـرِ، ووصفوه بأنَّه أعظـمُ رياضيٍّ في عصرِه، بل عدَّه بعضُهم أعظمَ رياضيٍّ في كافةِ العصورِ.. وهذا كلُّـه يدلُّك على عظمِ مشروعِه في الأرضِ، وأثرِهِ في تحريكِ العجلةِ العلميةِ في الحياةِ..

- ونماذجُ أخرى مماثلةٌ في السَّاحةِ العلميَّةِ التجريبيَّةِ؛ **كالرازيِّ** أحدِ أعلامِ الطِّبِّ، **وابنِ النفيسِ** كذلك في ذاتِ المجالِ، **ومالكِ بنِ نبيٍّ** في مشروعِه الفكريِّ، **وأبو الأعلى المودوديِّ**... وآخرين على ذاتِ المشروعِ كثـر بحمـد الله تعالـى في هـذه المشاريـعِ العلميَّةِ والفكريَّةِ التي أسهمتْ بجلاءٍ في تقدُّم الأمَّةِ، وكتابةِ تاريخِهَا.

- **سـليمانُ بـنُ عبـدِ العزيـزِ الرَّاجحـيُّ**: ومشروعُـه: «**مشـروعٌ ماليٌّ**»؛ حيـثُ عاشَ لهذا المشروعِ وهو في

ســنٍّ مبكِّــرةٍ جدّاً لم يصلْ للعاشــرةِ من عمره بعدُ، وظـلَّ مرابطــاً على هــذا المشروعِ، وقــدَّم له أعظمَ تضحيــاتٍ يقدِّمهــا إنسانٌ، وهاهو يركضُ نحو بناءِ مشروعِــه، واكتمالِ آثــارِه من سنِّ الطُّفولــةِ بالأمسِ إلى اليوم في عالم الثمانينيات بنفسِ النَّشاطِ والقوَّةِ والأهدافِ والحياة..

وهــا هو مشروعُــه اليومَ ماثلٌ لــكلِّ إنسانٍ، وقد ملأ اسمُــه الدُّنيا ذكراً وجمالاً، وأثراً وتاريخاً، وآثارُ هذا المشروعِ اليومَ على الأمَّة أكبرُ ممَّا يصفُه قلمٌ.

- **عبــد الرحمن بن علي الجريســي**: ومشروعه كذلك **«مشــروعٌ مالــيٌّ»**.. بــدأَ مشروعَــهُ فــي ســنِّ الرَّابعةَ عشــرةَ، ومنْ ذلك التَّاريخِ لــم يتوانَ لحظةً عن بناءِ مشروعِه، والمضيِّ بهِ إلى أحلامِه الكُبرى، وما يزالُ مشروعُــه حيّاً، وتاريخاً شاهداً علــى المعاناةِ، وبناءِ الأهدافِ الكبــرى في حياةِ إنسانٍ، والعيشِ للمشروعِ كالعيشــِ للحياةِ لا فَرق، وهاهــو مشروعُهُ يسهمُ كلَّ يــومٍ في بناءِ مشروعٍ للأمَّةِ، ويكتبُ في مدِّ خطواتِها للأمامِ.

- وعلى نَفْسِ الطَّريقِ: **الجميخُ، والسبيعيُّ**، وآخرونَ بذلُوا من سنامِ أوقاتِهم لمشاريعِهم، وعاشوها رحلةً في قلوبِهم، وهتفوا لها هتافَ المحبِّ لحبيبِه، ووجدوا أثرَها واقعاً في نفوسِهم، ورحلةً رائعةً في حياتِهم، وها هو التَّاريخُ يكتبُ آثارَهم بأجملَ ما يكونُ.

- **عبدُ الرحمنِ السّميط:** مشروعُه: **«مشروعٌ دعويٌّ»** تركَ لأجلِه وطنَه الكويتَ وهوَ في مقتبلِ عمرِه، ورحلَ لمشروعِه في بلادِ إفريقيَّةَ، ولا يزالُ هناك عاكفاً على مشروعِه، حتَّى قيلَ في وَصْفه: «الرَّجلُ الَّذي غيّرَ القارَّةَ»!..

بدأ يبحثُ عن مشروعِه، ويلهثُ وراءَ تحقيقِه، ويعيشُ أملَه وهو في وطنِه الكويتِ، ثمَّ انطلقَ إلى القارَّةِ السَّوداءِ، ومضتِ الأيَّامُ، وهاهو يعانقُ بطموحِه المجدَ، واليومَ يقفُ مشروعُه على الأرضِ بعد أنِ استوى على سوقِه، ولم يعدْ يعيشُ لحظاتِه هو، وإنَّما تعيشُه أممُ الأرضِ، وتتنفَّسُه أجيالُ الأمَّة، وقدْ بلغكَ أنَّ إحدى النتائجِ لذلك المشروعِ اليومَ: إسلامُ ما يزيدُ على ثمانيةِ ملايين إنسانٍ.

- **الألباني** رَحِمَهُ اللهُ: صاحب مشروع الحديث: «**تحقيق حديثِ النَّبيِّ** ﷺ».. أعظمُ المشاريعِ في العصرِ الحاضرِ، وأزكاها أثراً في حياةِ الأمَّةِ، وقد عاشَ مشروعَه كلَّ لحظاتِ عمرِه، ولم يرحلْ من الدُّنيا حتَّى كتبَ هذا الأثرَ العريضَ الَّذي يعرِفُه من له علاقةٌ بالعلمِ الشَّرعيِّ من قريبٍ أو بعيدٍ.

- مشروعُ «**قنوات المجدِ الفضائيَّة**» والَّذي يعدُّ باكورةَ المشاريعِ الإعلاميَّةِ الكُبرى على مستوى الأمَّة، حتَّى صارَ هذا المشروعُ اليومَ من أعظمِ المشاريعِ أثراً في صياغةِ عقولِ أبناءِ الأمَّة، وبناء توجُّهاتهم بناءً أصيلاً على قيمِ الإسلامِ ومعانيه الكبار.

- **محمَّدُ يوسفُ سيتي**: باكستانيُّ الجنسيةِ، نشأ في أسرةٍ كافرةٍ، ثمَّ أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه، فأنكرتْ أسرتُه قرارَ إسلامِه، فهجرتْهُ وأبعدَتْهُ، فقرَّرَ أنْ يخوضَ غمارَ الحياةِ وحدَهُ، ودخلَ التِّجارةَ فكوّنَ له مالاً كثيراً، وفكَّرَ في تكوينِ مشروعِ العُمُر..

فوجدَ ضالَّتَهُ في «**تعليمِ كتابِ اللهِ تعالَى أبناءَ المسلمين**»..

فسافرَ من باكستانَ إلى مكَّةَ رغبةً في جلبِ معلمينَ لتعليمِ كتابِ اللهِ تعالى في باكستانَ، ولمَّا وصلَ تفاجأ أنَّــه ليسَ في مكَّةَ في ذلــك الوقت جهةٌ تُعنى بتعليمِ أبنــاءِ المسلمينَ كتابَ اللهِ تعالــى، فراقَ له أن يبدأَ مشروعَه في جنباتِ الحرمِ المكِّيِّ، وأنشأَ أوَّلَ جمعيةٍ لتحفيــظِ القــرآنِ بمكَّــةَ المكَرَّمَــةِ عــام (١٣٨٢هـ)، وجلبَ لهذه الجمعيةِ مئةَ معلِّمٍ من باكستانَ.

ثــمَّ توجَّه بعــد عامين من نشــوءِ الجمعيــةِ في مكَّةَ المكرَّمَــةِ إلــى المدينــةِ النبويَّــةِ، وأنشأ بهــا جمعيةَ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ بالمدينةِ عام (١٣٨٤هـ)..

ثــم بعــد مُضيِّ عامَيْــنِ توجَّه إلى مدينــةِ الرِّياضِ، وأنشــأ بهــا جمعيــةَ تحفيــظِ القــرآنِ الكريــمِ عــام (١٣٨٦هـ)..

ورحلَ محمدُ يوسف سيتي ولقيَ ربَّه، وتواصلَ بعده ذلك المشروعُ في مُدُنِ المملكةِ العربيةِ السُّعوديةِ، وبــلادِ العالمِ الإسلاميِّ، وما تــراه اليومَ من هذه الجموعِ المباركةِ من علماءَ وأئمَّةٍ وخطباءَ وطلابِ علــمٍ وروّادِ الإصــلاحِ فــي هــذه البــلادِ وغيرها؛

هي بعضُ ثمارِ صاحبِ المشروعِ محمد يوسف سيتي[1].

- **محمد توفيق:** «الرَّجلُ المؤسسةُ» كما يصفُه بعضُ الكُتَّابِ، مشروعُه: **«دعوةُ غيرِ المسلمينَ إلى الإسلام»**.. امتدَّ مشروعُه إلى ما يزيدُ على السَّبعين عاماً، وهو يواصلُ مشروعَه.

بدأتْ فكرةُ المشروعِ لدى الرَّجلِ ممَّا رآه من افتتانِ العربِ والمسلمينَ بالأجانبِ، يقولُ: فإذا استطعتُ أنْ أقنعَ هؤلاء الأجانبَ بالإسلامِ؛ أجبرْنَا المفتونينَ بهم على الرُّجوعِ إلى عظمةِ ديننا، والالتزام به.

انطلقَ مشروعُه، وكانت سياستُه ألاَّ يتركَ من يبدأُ بدعوتِهِ إلا بعدَ أن يعلنَ الشَّهادتينِ، وكانت أقصرَ مدةٍ للدعوة شهرانِ، وأطول مدةٍ خاضَها سبعةَ عشرَ عاماً، وواصلَ مشروعَه، واستمرَّ فيه، وأسلمَ على يديه إلى الآن أربعةُ آلاف، من هؤلاء قسيسٌ يعمل أستاذاً للأدَبِ في جامعةِ الڤاتيكانِ، وقاضي جزيرةِ سان مُوريس، والقائدُ الهولنديُّ (كلنجر)، الَّذي

---

(١) مجلة البيان، العدد (٢٥٣)، لكاتبه: خالد بن عبد الله الفوّاز.

أسْمى نفسَه: (محمد توفيق كلنجر) تيمُّناً باسمِ صديقِه محمَّد توفيق..

ونَاهزَ محمد توفيق التسعينَ عاماً من عمرِه وهو لا يزالُ ينوءُ بمشروعِهِ، ويحلمُ بتحقيقِ آماله في الحياةِ.

- وثمةَ نماذجُ كبيرةٌ وكثيرةٌ لم يكن همِّي أن أنقلَ لك حروفَها، وإنَّما همِّي كلُّه أنْ أريكَ بعضَ آثارِ أصحابِ المشارِيع، وهم مثلكَ في كلِّ شيءٍ، لا فرقَ بينَك وبينَهم إلاَّ في الأماني التي تهتفُ بالقلوبِ، وتحتفُّ بالأرواحِ، وتُلبسُ الأجسادَ ناراً تتَّقِد، أو لحافاً يزهُو ويرتفعُ.

* * *



١١ صَفَحاتٌ في عالَمِ المشاريعِ

المشاريـعُ الَّتي يمكنُ أن ينتسـبَ إليها الإنسانُ كثيرةٌ، ومختلفـةٌ، ومتنوعـةٌ، ويمكنُ لك أن تختـارَ مشروعَك في الحياةِ كما تريدُ، وسنعرضُ بعد ذلك لمواصفاتِ المشروعِ الذي يناسبكَ.

لكنْ نعرض لك هنا بعضاً من المشاريعِ الَّتي يمكنُ أن تكـونَ إضاءةً على طريقِ هذا العالـمِ الفسيحِ في حياتِك في مستقبلِ الأيَّام.

إنَّ ثمـةَ مشاريعَ اجتماعيَّةً يمكنُ أن تكونَ سهماً كبيراً في حياةِ إنسانٍ، وشيئاً عظيماً في حياة مجتمعٍ وأمَّة..

- مـنْ تلـكَ المشاريـعِ: إغاثـةُ الفقـراءِ، والمساكيـنِ، والمعوَّقيـن، والأرامـلِ، والأيتامِ، وتفريـجُ كربِهم، وسدُّ

حاجتِهـم؛ وهو مـن أعظـم المشاريعِ الَّتي يقـومُ عليها الإنسانُ، ولو لم يكنْ في ذلك إلا قول النبيّ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَـى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِـي عَنْـهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْـهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِـيَ مَـعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْـجِدِ - يَعْنِي: مَسْـجِدَ الْمَدِينَةِ - شَـهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِـيَهُ أَمْضَـاهُ مَـلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ**»[1]؛ لكفاهُ أهميَّةً وتحفيزاً..

- ومـنْ تلـكَ المشاريعِ: **الإصـلاحُ بيـنَ النَّاسِ**، وسدُّ ما بينهم من خـلافٍ، وردمُ الهوَّةِ التي يصنعُها الشيطانُ، ووأدُ الخلافِ والنزاعِ، وسدُّ ثغراتِ المجتمعِ، وجمعُ شَمْلِ المفترقين بكلمةٍ صالحةٍ، وجهدٍ مباركٍ، وعملٍ دؤوبٍ.

وقد قـالَ اللهُ تعالى مبـاركاً هذا المشـروعَ، وداعياً إليـه هممَ الكبارِ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج؛ والطبراني في الكبير والأوسط.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ متمِّماً لذلك: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[1].

- ومنْ تلكَ المشاريعِ: **أن يكونَ الإنسانُ طبيباً نافعاً مباركاً في أمَّتِهِ**، ويتولَّى سدَّ فرضِ كفايةٍ على المسلمينَ، ويكفيهم أثر التَّولِّي عن هذه الوظائفِ الَّتي لا تقومُ مصالحُ المسلمينَ إلا بها، فيقومُ على رعايةِ المَرضى، ويتولَّى همومَ النَّاسِ ومشكلاتِهم الصِّحِّيَّةَ والنفسيَّةَ، ويقومُ كذلك على نشرِ ثقافةِ العلمِ الَّذي يحملُه، ويكونُ بذلك درعاً واقياً من الأمراضِ والأوبئةِ، ويحيي في مجتمعِهِ ووطنِهِ وأمَّتِهِ مفهومَ الصِّحَّةِ وأثرها في تحقيقِ الحياةِ الكريمةِ للنَّاس.

---

(١) رواه أبو داود: (٤٩١٩)؛ والترمذي: (٢٥٠٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

- ومنْ تلكَ المشاريعِ: **أن يكونَ الإنسانُ مهندساً جادّاً في رسالتِه، عظيماً في أمَّتِه**، ويكون بذلكَ قدوةً صالحةً في حملِ فروضِ الكفاياتِ عن المسلمينَ، والقيامِ بحاجةِ النَّاس، وتحقيقِ الأمانةِ والدِّقَّةِ والعدلِ في عملٍ تقومُ عليهِ مصالحُ المسلمينَ في كلِّ لحظةٍ.

- ومنْ تلكَ المشاريعِ: **مشروعُ التَّعليمِ**، وهو من أعظمِ مشاريعِ الأمَّة وأكثرِها حيويةً في بناءِ الإنسانِ والعمرانِ، وأكثرِها أثراً في بناءِ الحضارةِ الَّتي تليقُ بالإنسانِ كإنسانٍ..

وإذا صحَّتِ النيةُ في مشروعٍ كهذا نالَ به الإنسانُ خيرَي الدُّنيا والآخرةِ، وحاجةُ الأمَّةِ إليه أكثرُ من حاجَتِها إلى الطَّعامِ والشَّرابِ، ولو وجدتِ الأمَّةُ اليومَ من يقومُ على هذا المشروعِ ويرعاهُ، ويقومُ بواجبه كما أريدَ له لتغيَّر وجهُ الأمَّةِ، وعادتْ صانعةَ التاريخِ والحضاراتِ.

- ومن تلك المشاريع: **مشروعُ التَّربيةِ لأبناءِ المسلمينَ**، والعنايةِ بتخريجِ أجيالٍ تفهمُ هذا الإسلامَ فهماً صحيحاً، وتقومُ بحقِّه في العالمينَ.

والمشاريـعُ التربويّةُ بالذاتِ من أكثرِ المشاريع أثراً في تقـدُّم الأمَّـةِ، وصناعةِ مجدِهـا، وكتابـةِ تاريخِها؛ لأنَّه مشروعٌ يقومُ على بناءِ الإنسانِ، وإعادةِ تأهيلِهِ، وتطويرِهِ حتَّى يكونَ في موقع الحدثِ الَّذي تنتظره منه أمَّتُه.

- ومنْ تلـكَ المشاريعِ: **مشـروعُ دعـوةِ الجالياتِ**، وهو مشـروعٌ يزيـدُ في مساحةِ هـذا الدِّين فـي الأرضِ، ويوسِّـع مـن أثرِه، ويدفـعُ به إلى أن يكـونَ دين الله تعالـى في الأرضِ لا دينَ سـواه، وقد قال النبيُّ ﷺ مبيِّنـاً أثر هذا المشروعِ: «**لئِنْ يهدي الله بكَ رَجُلاً واحِداً خيرٌ لَكَ من حُمْرِ النَّعَم**[1]».

- ومـنْ تلـكَ المشاريعِ: **القيـامُ على حفـظِ كتابِ الله تعالَى، وفهمه، وتدبُّره، وتعميم أثرِه في العالمينَ**، وقد قالَ ﷺ: «**خيرُكم منْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه**[2]».

وسواء نصَّبَ الإنسانُ نفسَه لهذا المشروعِ بأنْ جلسَ لأبناءِ المسلمين معلِّماً لكتابِ اللهِ تعالى، أو قامَ على المشروعِ إدارةً ومتابعةً وإثراءً.

---

(١) رواه مسلم: (٢٤٠٦).

(٢) رواه البخاري: (٥٠٢٧)؛ والترمذي: (٢٩٠٩)؛ والدارمي: (٣٣٣٧).

- وقد يكونُ مشــروعُ الإنسانِ **مشــروعاً إعلاميّاً** يتولَّى صياغــةَ عقــولِ الأمَّةِ على مفاهيمِ الإســلامِ، ويتولَّى بناءَها وتربيتَها وتوعيتَها بدينِها ورسالتِها في الحياةِ، ســواء من خلالِ قنواتٍ فضائيةٍ تقومُ بهذا الدَّورِ، أو من خلالِ إنشاءِ مواقــعَ ومنتدياتٍ تقومُ بذاتِ الدَّورِ في البنـاءِ.

- وقد يكونُ مشروعُ الإنسانِ **ترجمةَ الكتبِ والمقالاتِ والعلـومِ** الَّتــي تفيــدُ الإنسانَ فــي حياتــه العلميَّةِ أو العمليةِ.

- وقد يكونُ مشروعُ الإنسانِ **بناءَ الأسرةِ المسلمةِ** على منهــجِ اللهِ تعالى، وسنَّــةِ نبيِّــه ﷺ، وإعدادَها حتَّى تكونَ قادرةً على حملِ رسالتِها، وتولِّي قضاياها بناءً لها، ودفعاً عَنْها.

وإنَّنــي هنــا أنبِّهك أيُّها القارئُ الكريــمُ أنَّ مثلَ هذه المشاريــعِ مجــردُ أمثلةٍ، فــإنْ كنتَ قــادراً على بناءِ هــذه المشاريــعِ الكبــرى في حياتــك فليسَ لك أن ترضَــى بالــدُّون من ذلــك، وإن لم تكنْ قــادراً على ذلك، فثمةَ مشاريــعُ أخرى؛ وهي كثيرةٌ كذلك تدعو

الإنســانَ للعملِ والتَّضحيــةِ والبناءِ على قــدرِ تطلُّعه لبناءِ مستقبلِه..

المهمُّ أن تحدِّدَ مشروعَك في الحياةِ، ويكون مشروعاً يستنفرُ طاقاتِــك، وإمكاناتِك، ويستحوذُ على وقتِك، ويستولــي على فكرِك وعقلِك، وحياتِك كلِّها، إنَّ هذا النَّــوعَ من الأعمالِ هي الأعمــال الَّتي يمكنُ أن نقولَ عنهــا: مشاريع في حياةِ أيِّ إنسان، لأنَّه لا يمكن أن يتحــوّل العملُ إلى مشروعٍ في حيــاةِ أي إنسانٍ حتَّى يكــونَ هــذا العملُ أولاً عملاً يحتــاجُ إلى جهدٍ وعناءٍ وتعــبٍ وجهادٍ، ثم يستنفرُ كلَّ طاقاتِ الإنسانِ لبنائِه حتَّى يقفَ على الأرضِ ويقالَ عنه بأنَّه مشروعٌ.

* * *

١٢
مواصفاتُ المشروعِ



المشروعُ الَّــذي يختارُه الإنسانُ لنفسِه ليكونَ مشروعَه العُمُــرِيَّ فــي الحيــاةِ لا بــدَّ أن يكــونَ مشروعــاً مستوفياً للمواصفاتِ الَّتي تكونُ في أي مشروعٍ، وحين يكونُ كذلكَ يمكــنُ أن يقــالَ عنــه بأنَّه مشــروعٌ من جهــةٍ، ومن جهةٍ أخــرى يمكنك المواصلة فيه حتَّــى يصبحَ أنموذجاً كبيراً بين المشاريعِ المناظرةِ له في الأرضِ.

الصِّفةُ الأولى في المشروعِ: أنْ يكونَ مشروعاً يَصِلُ بينَ دنيا الإنسانِ وبينَ آخرَتِهِ:

وهــذا هو الأصلُ فــي حياةِ المسلمِ، ولــم يكنْ بحاجةٍ إلــى بيانٍ لولا هذه الفُرقةُ الَّتي يراهــا الإنسانُ في عالم الخلقِ.

وقد أطربَني ما قاله محمدٌ قطب في كتابه (قبساتٌ مِـنَ الرســول)؛ حيث قالَ: «أولُ مــا يخطرُ على البالِ هــو هذه العجيبــةُ الَّتي يتميّزُ بها الإســلامُ: أنَّ طريقَ الآخــرةِ هــو طريــقُ الدُّنيا بــلا اختــلافٍ ولا افتراقٍ، إنَّهمــا ليسَا طريقَيْنِ منفصلَيْنِ أحدُهما للدُّنيا والآخرُ للآخــرةِ! وإنَّمــا هــو طريقٌ واحــدٌ يشملُ هــذه وتلك، ويربطُ ما بين هــذه وتلك، ليسَ هناك طريقٌ للآخرةِ اسمــه العبــادةُ، وطريقٌ للدُّنيا اسمُه العمــلُ! وإنَّما هو طريــقٌ واحدٌ أولُــه في الدُّنيا وآخرُه فــي الآخرةِ، وهو طريقٌ لا يفترقُ فيه العملُ عن العبادةِ، ولا العبادةُ عن العملِ، كلاهما شيءٌ واحدٌ في نظرِ الإسلامِ، وكلاهما يسيرُ جنباً إلى جنبٍ في هذا الطَّريقِ الواحدِ الذي لا طريق سواه». اهـ.

إنَّ المشروعَ الَّذي يتبنَّاه الإنسانُ لنفسِه لا بدَّ أنْ يكونَ في حسِّ صاحبِه أولاً المشاركةُ والمساهمةُ على الأقل في بنــاءِ صرحِ الأمَّــةِ الكبيرِ، وحين يخلو ذهــنُ الإنسانِ من هذا المعنــى فلا مفروحَ بعمل يقدِّمُــه، ولا هدف يركضُ إليه، ولا حياة يجهدُ فيها بكلِّ ما يملك.

وحيـن تمضـي دقائقُ الإنسـانِ وأنفاسُـه ولحظاتُه في ذاتِ المشـروعِ، وتكونُ بنيتها وغاياتُهـا أنفاساً تصبُّ في مشـروعِ الأمَّةِ العامِّ؛ نكونُ بذلك كباراً وعظماءَ في تاريخِ أمَّةِ الإسْلامِ.

الصِّفـةُ الثَّانيـةُ: أنْ يكونَ مشروعُـك الَّذي اخترتَه متوافقاً مع قدراتِك وإمكاناتِك:

وهـذه صفـةٌ مهمَّةٌ جدّاً في مشروعِـكَ الشَّخصيِّ، لا بـدَّ أن يكونَ هذا المشروعُ مشروعـاً متوافقاً مع قدراتِك وإمكاناتِك كإنسـانٍ، وإيَّاك أن تتقمّصَ مشروعاً وتتبنَّاه في حياتِـك وتجعلَه مشروعَك العُمُرِيَّ وأنـتَ تشعرُ - ولو مجـرَّد شعـورٍ - أنَّـه ليسَ لـكَ، ولا يتوافقُ مـع قدراتِك وإمكاناتِـك.. فإنْ فعلتَ فقد ضـاعَ منك عمرُك، وذهبتْ أيَّامُك في غير فائدةٍ.

تأكَّـدْ بـكلِّ وسيلـةٍ أنْ يكـونَ مشروعُك الَّـذي اخترتَهُ مُوافِقاً لقدراتِـك وإمكاناتِك، وفي إمكانِك أن تنجحَ فيه، وهو الَّذي يوافقُ ميولَكَ وحياتَكَ ورحلَتكَ في الحياةِ.

إنَّ بعضـاً من أصحابِ المشاريعِ يدفعُهُمُ الفرحُ ببعضِ

المشاريعِ الَّتي يرونَها في الواقِع، فيندفعونَ إلى تقليدِها، ومحاكاتِهـا، وجَعْلِهـا مشاريعَهُـم وواقعَهُـم ورحلتَهـم في الحيـاةِ، ويفاجؤونَ في النِّهايةِ أنَّهم لم يصلُوا إلى شيءٍ؛ لأنَّهم في الحقيقةِ فعلوا شيئاً لم يكنْ لنفوسِهِمْ وأرواحِهم منْهُ شيءٌ إلا التقليدَ فحسب.

الصِّفةُ الثَّالثةُ: أن تكونَ محبّاً لمشروعِكَ:

والحـبُّ يصنعُ الأعاجيبَ، وأيُّ عملٍ تقبلُ إليه وأنتَ تحبُّـه، وتجـدُ لذَّته، وتشعرُ بسموِّه فـي قلبك، تجتاحه بـكلِّ مشاعرك، وتهفُـو إليه بكلِّ أنفاسـك، وتكتبُ فيه أروعَ اللَّحظـاتِ التـي يكتبُها إنسانٌ فـي مشروعِهِ على الأرضِ.

إنَّـه لا يمكـنُ لإنسـانٍ أن يحلِّق في عالـمِ النَّجاحِ في مشـروعٍ وهـو لا يجدُ له مساحـةً كبرى مـن الانتماءِ في قلبِـهِ، بـل لا يمكنُ أن يصـلَ إنسانٌ للاستمتـاعِ بمشروعٍ فـي حياتِه أيّـاً كانَ ذلك المشروعُ وهو لا يجدُ له مساحةً عريضةً من الحبِّ..

وإنـي أنبِّهـك أن تدفـعَ بنفسك في مشـروعٍ لا علاقةَ

وجدانيةَ لك بـه، مهما كانتِ الحاجـةُ مُلِحَّةً، والمصلحةُ ظاهرةً، لأنَّ هذه المصلحةَ في النِّهاية قد تكونُ سبباً في تعويقِ مصالحَ كبرى، ونتائجَ عظمى كانتْ يمكنُ أن تكونَ لو لم تشغلْ بغيرها..

ويتضحُ بعدَ حينٍ من الزمنِ أنَّ المصلحةَ الَّتي كنَّا نتعلَّقُ بهـا مصلحةٌ وهميَّةٌ لا حقيقةَ لها إلا سـدُّ الفراغِ، وإكمالُ النَّقْصِ كمّاً، ونسينا أنَّ نجاحَ الأمَّةِ في الكيفِ فَحَسْب.

الصِّفةُ الرَّابعـةُ: أنْ يكونَ مشروعُك مشروعاً مُمْكناً في أرضِ الواقِع:

إنَّك حيـن تختارُ مشروعَك ينبغـي أن تختارَ مشروعاً قابلاً للتَّنفيذ، وفي حيّز الإمكان، وبين يدي قدرة الإنسانِ وإمكاناتِه..

فـلا تختـرْ مشروعـاً لا يمكـنُ أن يكونَ لـه واقع في الأرضِ: إمـا لكبـرِ حجمِـه، أو لعظمةِ إمكاناتِـه، أو لما يتطلَّبـه مـن أدواتٍ وأمـوال لا يمكنُ للإنسـانِ بلوغَها أو الوصولَ إليها.

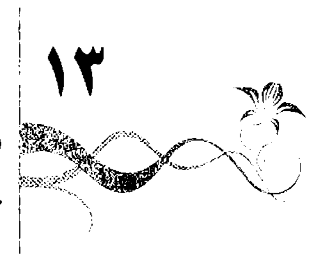
بل على الإنسانِ أن يختارَ مشروعاً كبيراً عظيماً مهمّاً مؤثِّراً في الواقعِ، لكنْ يمكنُ أن يكونَ له واقعٌ في الأرضِ، وإنْ تطلَّـبَ مساحةً من الجهدِ والعمـلِ والتضحيةِ والمالِ والسَّفرِ والغربةِ.

علـى أنَّنـي أذكِّرُك وأنتَ تتأمَّلُ فـي هذه الصِّفاتِ أنَّهـا متكاملـةٌ، فـلا يمكـنُ أن تأخذَ بعضَهـا وتتركَ بعضَهـا الآخر، بلْ إنْ لم تتوافرْ هذه الصِّفاتُ الأرْبعُ كلُّهـا فـي ذاتِ المشـروعِ الَّـذي اخترتَـه، فلـن تهنأَ بمشروعِـكَ يخطُـو علـى الأرضِ، ولن تفـرحَ بتاريخٍ تكتبُه في الواقِعِ.

وتأمَّل لو تخلَّفتْ واحدةٌ من هذه الصِّفاتِ كيفَ يكونُ مشروعُك، وستتعرّفُ على الحقيقة التي ذَكَّرْتُك بها.

* * *

١٣



هل يمكنُ أنْ يكونَ للإنسانِ أكثرُ منْ مشروعٍ في حياتِه؟

إنَّ وجودَ المشروعِ في حياةِ أيِّ إنسانٍ هو أعظمُ الأدلَّةِ الَّتي نَرى من خلالهــا قدرةَ ذلكَ الإنسانِ على المشاركةِ في عالمِ الكبارِ، والقدرة على تحويلِ المثالِ إلى واقعٍ في عالمِ الأرضِ..

وإنَّــك لــن تجدَ إنسانــاً يعيشُ مشروعَه فــي الأرْضِ، ويجهدُ فــي بنائِه، ويسعى في تحقيــقِ غاياتِه؛ إلا أدركْتَ أنك أمامَ إنسانٍ بحقٍّ.

إنَّ فكــرةَ المشروعِ في أساسِهَا فكــرةٌ لا تقوم جذلةً قويَّةً متينةً إلاَّ في حياةِ إنسانٍ متينٍ في الإرادةِ والقدرةِ والمبادرةِ

وروحِ المسؤوليــةِ بالدَّرجةِ الَّتي مكنته من خوضِ الواقعِ بقوةٍ؛ وسلَّطته على استثمارِ لحظاتِ حياتِه بأروع ما يمكنُ.

فــإذا كانَ المشــروعُ علــى عظمةِ ذكــرِه، وأثَــرِ واقعِهِ، وكثرةِ متطلَّباته؛ غير مُقْنعٍ لإنسانٍ أنْ يكونَ هو الوحيدَ في واقعِــه، وذكرياتِه، وآثارِه، وتطلَّعَ بشــوق إلى مشروعٍ آخرَ، أو مشاريــعَ أخرى يسدُّ بها طاقاتِهِ، ويستثمرُ بها لحظاتِه، ويكتــبُ بها تاريخَه؛ لأنَّه يرى أنَّــه أكبرُ من حجمِ مشروعٍ في الأرضِ مهمَا بلــغَ أثرُهُ، فإنَّنا نباركُ له هذه التطلعاتِ الكبــرى فــي حياتِه، وندعــوه أن يوسِّــعَ مساحــةَ أثرِه في الأرضِ بأكثرَ من مشروعٍ، لكن ذلك مشروطٌ بشرطَيْنِ:

الأوَّل: أنْ تكــونَ قدراتُــهُ وطاقاتُــهُ وإمكاناتُــه قابلــةً لذلك، وتحتملُ أكثرَ منْ مشروعٍ؛

فــإذا كانَ يملــكُ هــذه الطاقــاتِ، ولديــه المساحــةُ الكافيــةُ لتحقيقِ مساحــةٍ أوسعَ، ويمكنُــه أن يمدَّ في أثرِ واقعِه وأمَّتِه إلى الأفضلِ؛ فإنَّ التحجيرَ عليه وحصرَه في مشــروعٍ واحدٍ هدرٌ لهذه الجهودِ، وتضييعٌ لهذه القدراتِ، وإركاسٌ لهذه القوةِ الكامنةِ في نفسِ إنسانٍ إلى حضيضِ التوقُّعاتِ الوَهْميَّةِ.

الثَّاني: أنْ لا يؤثِّرَ كلُّ مشروعٍ على الآخَرِ:

فإذا تمكَّن إنسانٌ من كلِّ مشروعٍ بالقدْرِ الكافي لإقامةِ ذلـك المشروع، فلا مانِعَ مـن أن يحلِّقَ بجهدِهِ، وعزيمتِهِ فـي بنـاءِ مشروعٍ آخَـر، إلاَّ أنَّنـي أنبِّهُ ذلـك الإنسانَ ألاَّ تكـونَ المشاريـعُ بعد ذلك مجـردَ مسمياتٍ تتنـازعُ وقته فيمـا بينها، وتتهافتُ على جهـدِهِ، فلا يقفُ منها مشروعٌ واحـدٌ بقـوةٍ على الأرضِ، بل تبقـى كلُّها غيـرَ مستوثقةٍ مـن الأرضِ، وهـذه الظَّاهرةُ تُرى بوضـوحٍ في غالبِ من تتوسّعُ لديهِ المشاريعُ، فمثلُ هؤلاءِ يُنصحُ لهم بأنْ يُقبلوا علـى مشروعٍ واحدٍ يجمعون لـه طاقاتِهم، ويجهدونَ على إنجاحِـه حتَّى يكتملَ فـي الصُّورةِ الَّتي يفـرحُ بهِ كلُّ من رآه.. فإنْ كانَ ثمةَ قدرةٌ لدى ذلك الإنسان على أن يحلِّقَ بـكلِّ مشـروعٍ في الفضـاءِ أثـراً وحياةً؛ فلا أقـلَّ من أن يُدعى له بالتَّوفيقِ في كلِّ جهدٍ يقومُ به.

- ومـنْ أعظـمِ الأمثلةِ على تعـدُّدِ المشاريـعِ في حياةِ الكبارِ: **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كان مشروعاً في العلمِ، ومشروعاً في الجهادِ، ومشروعاً في الصَّدقةِ، ومشروعاً في العبادةِ..

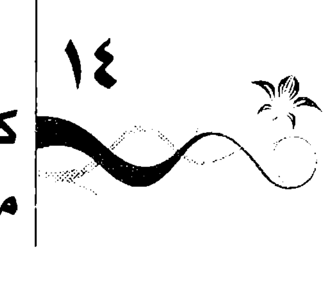
قـال الذهبـيُّ: واجتمـعَ جماعـةٌ مـن أهـلِ الفضلِ يعدُّونَ خصالَه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقالوا: العلمُ، والفقهُ، والأدبُ، والنَّحْـوُ، واللُّغـةُ، والفصاحةُ، والشِّعرُ، وقيـامُ اللَّيلِ، والعبـادةُ، والحجُّ، والغـزوُ، والشَّجاعـةُ، والفروسيةُ، والقوةُ، وتركُ الكلامِ فيما لا يعنيه، والإنصافُ، وقلَّةُ الخلافِ على أصحابه. اهـ.

ولذلك قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: إنِّي لأشتهي من عمري كلِّه أن أكـونَ سنةً مثلَ ابنِ المباركِ؛ فما أقدرُ ولا ثلاثةَ أيَّامٍ. اهـ.

- ومن الأمثلة كذلك على أصحاب المشاريع المتعددة: شيـخ الإسـلام **ابـن تيميـة** رَحِمَهُ اللَّهُ، فقـد كانَ مثـالاً حيّـاً على تنـوّعِ المشاريـعِ الكبرى فـي حياتِهِ، فقد كانَ مشروعـاً ضخمـاً في العلـمِ، ومشروعاً آخرَ في العبادَةِ، ومشروعاً في الزُّهْدِ، ومشروعاً في الجهادِ، والأمرِ بالمعـروفِ والنَّهْي عن المنكرِ، ومشروعاً في الـرَّدِّ على الفِرَق المخالفةِ للدِّينِ، وكانَ في كلِّ ذلك مثالاً حيّاً، وقدوةً كبيرةً، ومشاريعَ يعجز أن يقوم بها فئامٌ مِنَ الرِّجالِ.

- ومـن الأمثلة علـى ذلك: **العَلَـمُ ابنُ بـازٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كانَ مشاريـعَ ضخمةً في حياةِ أمَّتِهِ، فقد كانَ عالماً بالحديـثِ، ومفتيـاً لعامَّةِ النَّاسِ وخاصَّتهم، وعابداً متميِّزاً فـي ذلك الشَّأنِ، وقائمـاً بحوائجِ النَّاسِ في غالـبِ شؤونِ حياتِهم، وعلى مدار تسعينَ عاماً، كانَ كلَّ ذلـك لـم يتأخَّرْ عن تلـك المشاريـعِ إلا لمرضٍ يقعدُه عن العملِ.

* * *



١٤
كيفَ تتعرَّفُ على مشروعِكَ؟

(١)

هذا سؤالٌ في غايةِ الأهمِّيَّةِ، حين يعلمُ الإنسانُ أهمِّيَّةَ المشــروعِ في حياتِه، وحينَ يسمــعُ الحديثَ عن المشروعِ تتوقُ نفسُه إلى معانقةِ هذا الأملِ في لحظةٍ، ويبحثُ عن كلمــةِ المشروعِ بحثَ اللَّاهثِ عن المــاءِ في يومٍ صائفٍ، لكنَّــهُ يعثرُ قبلَ الوصــولِ إليه، ويضنيــه التَّفكيرُ، وتذهبُ عليــه الأوقــاتُ، وفــي النِّهايةِ يعــود كليلَ العقــلِ والبدنِ، متحسِّراً أنَّه لم يجدْ ضالَّته بعد..

ويبدأ السؤالُ المتكرِّرُ كلَّ مرَّةٍ من جديد: كيف أتعرّفُ على مشروعي؟..

فتعــالَ معــي هــذه اللحظــةَ أضــعْ بيــن يديــكَ معالمَ مشروعِــك، وأبحثْ أنَا وإيَّاك عن أملكِ المفقودِ، وروحِك

الغائبـةِ، وهتافِـك الكبيـرِ فـي الحيـاةِ.. تعالَ معـي إلى أحْلامِـك وأمانيـك ولحظاتِك الكبرى فـي الحياةِ لحظةً بلحظةٍ..

- **تعـالَ أحدِّثْـكَ عـن أجمـلِ كلمـةٍ في حيـاةِ إنسـانٍ، وأروعِ كلمةٍ في مسيرتِه.. كلمةِ المشْروعِ..**

قلـتُ لـك سابقاً: **مشـروعُ العمـرِ**: هو مشـروعٌ تتَّضحُ فـي ذهنِكَ أهدافُه، وتستولـي فكرتُه على فكرِك وعقلِك، وتبذلُ له جميعَ طاقاتِك.

وعلـى هـذا التَّعريفِ فلا بـدَّ أنْ يكونَ فـي مشروعِك الذي تختارُه ثلاثةُ جوانبَ في غايةِ الأهمِّيَّةِ والخطورةِ:

أوَّلُ هذه الجوانبِ: أنْ يكونَ هذا المشروعُ الَّذي تختارُه مـن بينِ بقيَّةِ المشاريـعِ مشروعاً واضحـاً لكَ، لا لبسَ فيه، تعرفُ أهدافَه، وتدركُ أين تصلُ به في النِّهايةِ:

لا بدَّ أن تكونَ أهدافُ هذا المشروعِ واضحةً في ذهنكَ كوضوحِ الشَّمْسِ في رابعةِ النَّهار، لا يمكن أن تلتبسَ عليكَ أهدافُه، أو تختلطَ عليكَ رؤيتُه، بل هو واضحٌ جليٌّ، تسألُ نفسَـك في ساعةِ خلـوةٍ: لماذا هـذا المشـروعُ بالذَّاتِ؟

فتنساقُ نفسُك للإجابَةِ دونَ تكلُّفٍ أو هيبةٍ أو نزاعِ نفسٍ: إنَّه مشروعٌ واضحٌ لا لبسَ فيه..

فـإذا وجـدتَ أنَّ أهـدافَ المشـروعِ غيـرُ واضحةٍ، أو تلتبسُ عليك أحياناً، أو لا تستطيـعُ أن تبينَ بجلاءٍ لمن يسألـك عـن مشروعِـك؛ فأعِـدِ التفكيرَ مـرَّةً أخرى فلم يكتمـلْ مشروعُك في نفسكَ بعدُ، وقـد يكونُ ما أنت فيه ليسَ مشروعَك في الحقيقةِ..

ثانيـاً: أنْ تستولـيَ فكرةُ هذا المشـروعِ على فكرِكَ وعقلِكَ:

بمعنــى أنَّـك تحبُّ هذا المشـروعَ، وتجدُ لـه وَلَهاً في قلبـكَ للدَّرجـةِ الَّتـي تشعـرُ أنَّهُ يملـكُ روحَـك وكيانَك وحياتَك كلَّها.

إنَّ اللحظةَ الَّتي تستولي فيها فكرةُ هذا المشروعِ على قلبِـك هي اللَّحظـةُ الَّتي تخبرُ عن ميـلادِ ذلك المشروعِ في حياتِك، وبدونِ ذلك لا زلتَ تبحثُ عن المفقودِ كعامَّةِ النَّاس في الحياةِ.

لا يمكـنُ أن نقـولَ لـكَ: إنَّك عثـرتَ علـى مشروعِك

الشَّخصـيِّ إلا إذا رأينَـاك تحـبُّ هذا المشـروعَ، وتعشقُ ذكرَهُ، وتودُّ أن تقضيَ ساعاتِ يومِك كلَّها فيه، وتجدُ أثناء العمل فيه كلَّ لذَّةٍ، ويجبرُك على الاستمتاعِ بلحظاتِهِ كأنَّهُ الأحلامُ الغائبةُ من حياتِك.

تستولـي فكـرةُ المشـروعِ على فكـرِكَ وعقلِـك، فتظلُّ حـروفُ وكلمـاتُ هذا المشـروعِ كأنَّمـا تكتبُهـا بروحِك، وتلفظُها من أعماقِ نفسِك..

لن يكـونَ مشروعُـك مشروعاً حقيقيّاً حتَّـى تستوليَ فكرةُ هذا المشـروعِ على فكرِك وعقلِك بالكلِّيَّةِ، فتجده يأخـذُ كلَّ وقتِك في التفكيـرِ والتأمُّل، تتأمَّل كيف تبدأُ؟ وكيفَ تخطُو في رحلتِه؟ ومن أينَ تأتي له؟ وكيّف يكونُ حلمُـكَ فيـه حقيقةً لا خيـارَ لهـا إلا المثولُ فـي عالمِ الواقِعِ.

إنَّ مشروعَك لا يمكنُ أن يولدَ في نفسك إلا في اللَّحظةِ الَّتـي تجد فيها عملاً تنساقُ لـه دونَ شعورٍ، وتلهثُ وراءَه دون تفكيـرٍ، وتخطـو خلفَه دونَ تأمُّـل.. هذه اللحظةُ هي اللحظـةُ الَّتـي يمكن أن نباركَ لك فيهـا وجودَ مشروعِك الشخصيِّ.

ثالثاً: أن تبذلَ لهُ جميعَ أوقاتِك:

فـإذا وجـدتَ عملاً من الأعمالِ فـي أيٍّ مجالٍ، وكنتَ مستعدّاً تلـك اللحظةَ أن تبذلَ فيه جميعَ أوقاتِك، وتشعرَ فـي ذاتِ اللحظةِ بمتعةٍ وراحةٍ في ذلك الوقتِ؛ فهذه من دلائلِ عثورِك على مشروعِك الشَّخصيِّ..

إنَّ أوقاتَنا لا يمكنُ أن تبذلَ بسخاءٍ إلاَّ في عملٍ نحبُّه، ونجدُ في دقائقِهِ المتعةَ والراحةَ، وحينَ نجدُ ذلك العملَ، وتمرُّ بنا تلك اللحظاتُ؛ فهي الدليلُ البيِّنُ على ما نبحثُ عنه من سنواتٍ.

أن تكـونَ مستعدّاً للتضحيةِ من أجـل مشروعِك بكلِّ ما تملـكُ، تعطيهِ أوَّلاً فكـركَ في التفكيرِ، وجهدَك في النَّظرِ، وحياتـك فـي التأمُّـلِ، ثم تصرفُ لـه وقتَك كلَّـه، وتمنحُه دقائقَ عمرِك، ولحظاتِ حياتِك، وترى مع ذلك أنَّ كلَّ ذلك أرخصُ ما يكونُ عندك، وألذُّ دقائقَ تمرُّ عليك في حياتك.. وهذه عندي أصدقُ بيِّنةٍ على أنَّك عثرتَ على مشروعِك..

تبـذل لمشروعِك مالَك كلَّه، تكـونُ مستعدّاً للسفرِ من أجلِهِ، والسهرِ من أجلِهِ، والرِّحلةِ من أجلِهِ، ولزومِ المكانِ الَّذي يوجدُ فيه مشروعُك كأنَّما تلزمُ قلبَك بين جنبيك.

إذا وجدتَ عملاً بهذه المواصفاتِ الثلاثِ، فقد وجدْتَ مشروعَك العمريَّ، ووجدْتَ مشروعَكَ في الحياةِ، ووجدْتَ مشروعَـك الشَّخصـيَّ، وعثـرْتَ على الأمَلِ الَّـذي لا زالَ عامَّةُ النَّاس يلهثونَ من أجلِ الوصولِ إليه.

وكلُّ عملٍ تنضمُّ إليهِ ولا تجدُ له هذا الحبَّ في قلبِكَ، والإقبـالَ عليه بروحِـك، ولا تشعرُ فيه بالمتعـةِ الحقيقيَّةِ في نفسِكَ، والسُّرورِ في حياتِك؛ فليسَ بمشروعِكَ، توقَّفْ عنه الآنَ، وابحثْ عن السِّرِّ الضَّائعِ في حياتِك؛ فإنَّك لمَّا تجدْه حتَّى الآنَ.

إنَّ هذه الجوانبَ الثلاثةَ قد تكونُ كافيةً لك في التعرُّفِ على مستقبلـكَ، ومشروعِك في الحياةِ، فـإنْ وصلْتَ إلى مشروعِك من خلالِها فأُباركُ لك هذه اللحظاتِ ميلادَك كإنسانٍ في عالمِ الأرضِ، وأبارك لأمَّتِكَ بدايتَك في كتابةِ رحلتِها الكبرى نحو عالمِ التَّحدياتِ.

فـإنْ لم تصلْ لمشروعِك، ولم تهتدِ إليه مع كلٍّ ذلك، فتعـالَ معي إلى الخطوةِ الثَّانية لعلَّها تهديك إن شاءَ اللّٰه تعالى إلى أحلامِك القادمةِ.

* * *

١٥
كيفَ تتعرَّفُ على مشروعِكَ؟

٢

إنَّ اختيــارَ مشروعِ حياتِكَ قرارٌ فــي غايةِ الأهمِّيَّةِ، وهــو من أصعبِ القراراتِ التــي تتخذها في حياتِك، ولذلــك لا بدَّ أن تعطيَه وقتَكَ كلَّــه، وتمنحَهُ تفكيرَك، وتأمُّلَك كلَّه..

إنَّنــي أدعـوك في هــذه اللحظــاتِ للعُزْلــةِ، سافرْ إلى مكانٍ تجدُ فيــه متعتَكَ، وتعثرُ فيه على دقائقِ عُمُرِكَ، أو اخــرج من بيتِكَ إلى أيِّ مكانٍ يستقــرُّ فيه ذهنُك، وتجدُ فيه راحتَك، وإذا رأيتَ أن تقفلَ جوَّالكَ في تلك اللحظاتِ فافعـلْ حتَّى لا تتعرض في أحرجِ لحظةٍ من عمركَ لقرارٍ تندمُ عليه طيلةَ حياتِك القادمةِ.

إذا وجـدتَ هـذا الفــراغَ، وهذه اللحظـاتِ من زمنك

فـدوِّنْ هـذه الأسئلةَ في دفتـرٍ خاصٍّ، ثمَّ أجِـبْ على كلِّ سؤالٍ منها:

السُّوالُ الأوَّلُ: ما اهتماماتُك في الحياةِ؟.

السُّـؤال الثَّانـي: مـا الأعمـالُ الَّتـي تسـتمتعُ بهـا فـي حياتِكَ؟.

السُّـؤالُ الثَّالثُ: مَنِ الأشـخاصُ الَّذينَ أُعجبتَ بهم في حياتِكَ؟.

السُّوالُ الرَّابِعُ: لِمَاذا أُعجبتَ بهم دونَ غيرِهم؟.

السُّؤالُ الخامسُ: ما أسعدُ لحظاتِ حياتِك؟.

السُّؤالُ السَّادسُ: ما أهمُّ ثلاثةِ أمورٍ في حياتِكَ؟.

السُّؤالُ السَّابعُ: ما أهمُّ أعمالِكَ الَّتي تقومُ بها يوميّاً؟.

السُّـؤالُ التَّامِـنُ: مـا أهمُّ ثلاثةِ أمورٍ فـي حياتِكَ على الإطْلاقِ؟.

السُّـؤالُ التَّاسِـعُ: لـو خُيِّـرْتَ بينَ أعمالِـك اليوميَّةِ؛ ما العملُ الَّذي لن تتخلَّى عنه؟.

السُّؤالُ العَاشِرُ: ما أهمُّ نقاطِ قوَّتِكَ؟.

السُّؤالُ الحَادي عَشَرَ: ما مهاراتُك ومواهبُك الَّتي تمتلكُها؟.

السُّـؤالُ الثَّاني عَشَـرَ: ما الأمنيةُ الَّتي تهتفُ بقلبكَ كلَّ لحظةٍ؟.

السُّـؤالُ الثَّالثَ عَشَـرَ: لو دُعيتَ إلى مكتبةٍ أو معرضٍ؛ ما الرُّكنُ الَّذي يستحوذُ على وقتِكَ؟.

السُّـؤالُ الرَّابِـعَ عَشَـرَ: لـو فُتح لك موقعٌ علـى النِّت أو مدونة ماذا ستكتبُ فيها؟.

السُّـؤالُ الخامسَ عَشَـرَ: لو اتَّصلَ بكَ صديقٌ لتقدِّمَ له برنامجاً تدريبيّاً، أو تُلقي لهُ موضـوعاً؛ ففي أيِّ مجالٍ ستتحدَّثُ؟.

السُّؤالُ السَّادِسَ عَشَرَ: ماذا تريدُ أن تكونَ بعدَ عشرينَ سنةً قادمةً من حياتِك؟.

السُّؤالُ السَّابِعَ عَشَرَ: ما المجالُ الَّذي تودُّ أنْ تُعرفَ به بينَ النَّاسِ، وتتميَّزُ به في حياتِك؟.

السُّؤالُ الثَّامِنَ عَشَرَ: في آخرِ اللَّحظاتِ من عُمُرك.. اكتبْ عن مشروعِك الَّذي تتركُه قائماً بعدَ موتِك؟.

قد تأخذُ منكَ هذه الأسئلةُ يوماً واحداً، وقد تأخذُ منك أسبوعاً كاملاً، وقد تزيدُ على ذلك فتصلُ إلى شهرٍ؛ لأنَّها أسئلةٌ تحدِّد رحلتَك في الحياةِ، وتعينُك في العثورِ على مشروعِك، وتكتبُ ميلادَ حياتك من جديدٍ في عالمِ الأرضِ.. ثمَّ بعدَ أن تنتهي من الإجابةِ عليها كلِّها.. أعدِ التَّأمُّل فيها من جديدٍ، هلْ إجابتُك هذه كافيةٌ وافيةٌ فعلاً؟.

فإن عثرتَ منها على مشروعِكَ الشَّخصيِّ فتلكَ الأحلامُ الغائبةُ عثرتَ عليْهَا، وتلك الآمالُ الَّتي تبحثُ عنها وصلتَ إليها، فإنْ لم يكنْ ذلك، ولا زالَ مع كُلِّ ما فعلتَ يغيبُ عنك مشروعُك الشَّخصيُّ في الحياةِ.. ولم تهتدِ إليه بعدُ، فتعالَ معي إلى آخرِ خطوةٍ، لعلَّها توضِّحُ لك الطَّريقَ، وتبين لك عن ذلك المفقودِ الكبيرِ في عالم الحياة.

* * *

١٦
كيفَ تتعرَّفُ على مشروعِكَ؟
٣

إنَّنــي أعذُرُكَ في هــذا التحيُّرِ الملازِمِ لك، وأقدِّرُ لك تــردُّدَك الكبيرَ في اختيارِ مشروعِك العمريِّ؛ فذلك قرارٌ في غايةِ الخطورةِ على مستقبلك، وأثرِك في الأرضِ بَعْدَ ذلك..

أدعوكَ هذه اللحظةَ أن تأخذَ قلمَك مرَّةً أخْرى، وتدوِّنَ الأعمــالَ والمشاريــعَ التي تمارسُهــا أو تحبُّها وتجدُ رغبةً في المشاركةِ فيها، سجِّلْها على ورقةٍ بخطٍّ واضحٍ وكبيرٍ، ثــم علِّقْها على منزلكَ، أو ضَعْها علــى سطحِ مكتبِكَ، أو على شاشةِ حاسِبِكَ الشَّخصيِّ، أو على لوحةٍ في البيتِ أو حتَّى في غرفةِ النومِ، المهمُّ أن تكونَ تلك المشاريعُ تحتَ نظرِك كلَّ لحظةٍ تراها، وتنظرُ إليها، وتميِّزُ بينها، وترى

أيــن يهفــو قلبُك؟ وأين تجدُ روحَك؟ ومــا المشروعُ الَّذي تجدُه يستحوذُ على قلبك أكثرَ من غيره؟.

إنَّك حين تعرضُها أمامَ نظرِك كما تفعل الآن لا تبقي خياراتٍ مفتوحةً فــي عقلك، وإنَّما تحصرُ عقلَك ونظرَك فــي هذه المشاريعِ بالذَّاتِ، وهذا يعطيك فرصةَ المقارنَةِ والاختيــارِ، فإنْ وجدْتَ ما تريدُ، وتحقَّقَ لكَ ذلكَ؛ فهنيئاً لــكَ تحقُّقَ حلمِك، والوصــولَ إلى مشروعِك، وإن لم تجدْ ذلك فشاورْ من تعرفُ من زملائِك، من تثقُ فيه وتعرفُ قدرتَــهُ على حسنِ الاختيــارِ، وكلَّما كانَ مَنْ تشاورُ أعرفَ بقدراتِك وألصقَ بك، وأعرفَ بالمشروعِ في الحياةِ وأثرِه في حيــاةِ الإنسانِ؛ كلَّما كانَ أقربَ بــإذنِ الله تعالى إلى الصَّوابِ، وألصقَ بالحقِّ من غيره.

إذا لم يتَّضِحْ لك شيءٌ فقابلْ من تثقُ به من المدرِّبين، والمستشاريــنَ من أهــلِ الثِّقَةِ والخبــرةِ والمراسِ والعلمِ والعمــلِ والقدرةِ على حســنِ الاختيارِ، فقد يكونُ من بين هؤلاءِ من يوصلكَ بالأمل، ويدفعُك للتعرُّفِ على الحقيقةِ، ويوقفكَ على جوانبَ في الاختيار قد تخفى عليك.

فــإن لم تهتــدِ إلى مشروعِــك بعدُ فيمكنُــك أن تلتقيَ

بأصحـابِ المشاريـعِ الَّذين لهم تجربـةٌ عريضةٌ، ونجاحٌ ملموسٌ في مشروعات حياتهـم، وتناقشهم كيف اختاروا مشروعاتِهـم؟ وكيفَ تعرَّفوا عليها؟ وكيـفَ وصلُوا إليها؟ ومـا السُّبُلُ الَّتي سلكت بهم هـذه المشاريعُ حتَّى جعلتْهم كباراً؟.

وأوصيـكَ مع كلِّ ذلك بأن تنطرحَ بينَ يدي اللّهِ تعالى أوَّلاً، وتدمـنَ دعاءَه، وتطيـلَ الوقوفَ بين يدَيْه، وتخرَّ للّه تعالـى ذليلاً حقيراً لا تملكَ خياراً لنفسك إلاَّ بعد توفيقِ اللّهِ تعالـى، وهدايتِهِ لـك، وتخيَّرْ في ذلك أوقاتَ الإجابةِ مـن السَّحَـرِ أو في ساعةِ الجمعـةِ، أو لحظـاتِ السُّجودِ أو فـي الخلواتِ، مـع حُسْنِ الرَّجاءِ فـي اللّهِ تعالى، وأنَّه سيفتحُ لك ما أغلقَ عليك.

وحاولْ مع كلِّ ذلك أن تستخيرَ اللّه تعالى، فإن تحقَّق لـك شيءٌ وإلا كرِّر هذه الاستخـارةَ، وإذا علم اللّه تعالى صدقَـك، وحسـنَ إقبالك، وعظيمَ رجائِـك فيه، وتطلُّعك إليه، وأمَلَكَ فيه، وضعفَك بين يديه، وتذلُّلَكَ في لحظاتِ دعائِك؛ فتحَ اللّه تعالـى عليكَ، فيسَّرَ لك أمنيتَكَ، وأبانَ لك مشروعَكَ، وتحقَّق لك كلُّ ما تريد..

وأعـدُك بعـدَ كلِّ ذلـك ثقـةً فـي اللهِ تعالـى أن تجدَ مشروعَك الَّذي بحثتَ عنه، وأن تلقى أمنيتَك التي تهتفُ بهـا، وأن تخالطَ قلبَـك ولأوَّلِ مرَّةٍ مشاعـرُ الفرحِ كأنَّها أسعدُ لحظاتِ قلبك في الحياةِ كلِّها..

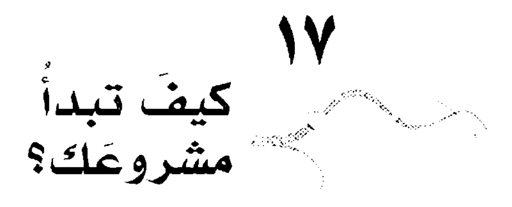
أما إنني لو كنتُ عندَك في هذه اللحظةِ لعانقتُكَ عناقَ عيـدٍ، ولهنَّأتُكَ تهنئةَ نجـاحٍ عريضٍ، ولباركتُ لك من كلِّ قلبـي هذه الفرصةَ الَّتي تحققت لـك، وهذه الأمنيةَ التي عثرتَ عليها بعد طولِ بحثٍ وعناءٍ..

وإذا لم يكنْ عونٌ مِنَ الله للفتى

فأوَّلُ ما يجني عليه اجْتِهَادُه

❊ ❊ ❊

١٧
كيفَ تبدأُ مشروعَك؟



لعلَّكَ وصلتَ بحمدِ اللهِ تعالى إلى معرفةِ مشروعِك في الحياةِ، وعانقتَ آمالَك في الدُّنيا، ووجدتَ المفقودَ الكبيرَ فـي حياتِك، إنَّهـا واللهِ لحظاتٌ ممتعةٌ في حياةِ كلِّ إنسانٍ وجـدَ ضالَّته بعـد فقدِها، ورآها بعدَ بُعدهـا، وعانقَها بعد حنينِ الأيَّام، فيا لها من لحظاتٍ في حياةِ كلِّ إنسانٍ.

إنَّ اللَّحظـةَ الَّتي يجدُ فيها الإنسانُ مشروعَهُ في الحياة هـي اللَّحظـةُ الَّتي يجـدُ فيها روحَـه وأملَه وحياتَـه كلَّها.. اللَّحظـةُ الَّتي يشعرُ فيها أنَّه خليفةُ اللهِ تعالى في الأرضِ، ووريثُ الرُّسُلِ الكرامِ بصدقٍ.. وليس لهذه النِّعمةِ من شكرٍ إلاَّ أن تخـرَّ للّه تعالى ساجـداً؛ تشكرُه على آلائه، وتحمدُه على توفيقِه، ثم تبدأُ الرِّحلةَ العمليةَ لمشروعِك في الأرضِ.

ولعلَّـكَ تسألُ: كيـفَ تبدأُ؟ ومِنْ أَيْـنَ؟ وماذا تفعلُ في بدايةِ الطريقِ؟ وما أولُ خطوةٍ في المشروعِ؟ وكيف تحقِّق مشروعَك واقعاً في الأرضِ؟..

وهـا أنـذا أدلُّك بما يفتحُ اللّه تعالى بـه في هذا المقامِ، مباركاً لكَ مشروعَك أوَّلاً، داعياً لك فيه بالتَّوفيقِ في الدَّارَيْن.

التخطيـطُ لمشـروعِكَ هـو أولُ خطـوةٍ فـي الطَّريقِ تضمنُ لكَ بعد توفيقِ اللّهِ تعالى أن يكونَ مشروعُك واقعاً عمليّاً بعد أن كانَ معرفةً نظريَّةً..

ويكـونُ التخطيـطُ فاعـلاً ومؤثِّـراً حيـن ينطلـقُ مـن المرتكزاتِ التاليةِ:

أولاً: تحديدُ رؤيتِكَ:

أي وضعُ الصُّـورةِ النِّهائيَّةِ لمشروعِك.. ماذا تريدُ أن تكـونَ في النِّهايـةِ؟ ما الغايةُ الكبرى مـن مشروعِك؟ ما نقطةُ النِّهاية الَّتي ترسمُها لمشروعِك؟.

خُـذْ ورقـةً، أو افتـحْ حاسوبَك الشَّخصـيَّ واكتبْ هذه العبارةَ:

- بعـد خمسيـن سنةً من الآن ستكـونُ نتائجُ مشروعي في الأرضِ كما يلي:

أعـدْ قراءةَ هذهِ النهائيـةَ، تأمَّلْها، كرِّرْ قراءتَها، قلِّبْهَا في فكرِك مرَّاتٍ، حاولْ أن تجعلَ لها وقتَك كلَّه، قد تحتاجُ منـكَ إلى تعديلٍ، أو تغييرٍ، أو اختصارٍ، أو تفصيلٍ، افعلْ فيها ما تشاءُ..

المهـمُّ فـي النِّهايةِ أن تستطيـعَ أنْ تَصِلَ إلى العبارةِ التـي تكونُ هـي رؤيتَـك لمستقبلـك، والصُّـورةَ النهائيةَ لمشروعِـك، وأحلامك الواقعيَّة في الأرضِ بعد عشراتِ السِّنينِ.

إذا وصلـتَ إلـى تصـوُّر هـذه الرؤيـةِ بقناعـةٍ تامَّةٍ، ورضِيَـتْ عنها نفسُـك بالكلِّيَّةِ، فاكتبْهَا بخـطٍّ جميلٍ، ثمَّ اجعلْها خلفيةً لحاسوبِكَ الشَّخصيِّ، في صورةٍ مكبَّرةٍ في مكتبتكَ، أو مكتبك، أو في غرفةِ نومِك.. ثمَّ ضعْها شعاراً

فـي مفكرتِك اليوميَّـةِ، واجعلْها تصحبك فـي جيبك، أو محفظتك كلَّ وقتٍ، وبهذا تكونُ أمسكتَ بالبدايةِ والنِّهايةِ فـي وقتٍ واحدٍ، وعرفـتَ طريقَك بوضوحٍ، ورسمتَ قمَّتك كأنَّها اليومَ أو تكادُ.

ثانيـاً: حـدِّدْ وضعَـك الحَالـيَّ الَّذي وصلْـتَ إليهِ في مشروعِكَ:

أينَ أنْتَ هذه اللحظةَ مـن مشروعِك؟.. من الضَّرورةِ أن تعـرفَ الآنَ هـلْ أنتَ في بدايةِ المشروعِ؟ أو قدْ بدأتَ فـي خطواتِـه الأولى؟ ونؤكِّـدُ عليك هذا حتَّـى تعرفَ كم تحتـاجُ مـن خطـواتٍ للنِّهايـةِ؟ ومن أيـنَ ستبـدأُ؟ ومتَى ستصلُ؟.

أنـتَ بحاجـةٍ في هـذه النُّقطـةِ أنْ تسـألَ نفسَك: كم يحتاجُ منكَ مشروعُك من الوقتِ؟ كم مقدارُ المالِ الَّذي يقـومُ به المشروعُ في البدايةِ؟ هل البيئةُ الَّتي أنتَ فيها مناسبةٌ لنجاحِ المشروعِ، أو لا بدَّ من الانتقالِ إلى مدينةٍ أخرى؟.

إنَّ تحديـدَ وضعِـك الحالـيِّ بالغُ الأهمِّيَّـةِ في نجاحِ

مشروعِـكَ في المستقبلِ، وحين تخطئُ تحديدَ وضعِك، أو لا ترسمـهُ بدِقَّـةٍ، أو لا تعطيهِ عنايةً كبيرةً قد يختلُّ تخطيطُـكَ كلُّـه، ويضيـعُ مشروعُـك فـي النِّهايـة دون جدوى.

ثالثاً: ارسم أهدافك بدقة:

إنَّ أهـمَّ مـا فـي عمليـةِ التَّخطيـطِ كلِّهـا أن ترسمَ أهـدافَ المشروعِ بشكلٍ واضحٍ، بحيثُ يتحرَّك المشروعُ كلَّ يـومٍ، بـل كلَّ لحظـةٍ وفقَ أهدافٍ مرسومـةٍ، ومنهجٍ واضـحٍ، وزمنٍ محـدَّدٍ، وإلا صـارَ المشـروعُ فارغاً من حقيقتِه كمشروعٍ.

سبـقَ فيمـا مضَـى أنَّـك وضعـتَ رؤيتَـك النِّهائيـةَ لمشروعِـكَ، وأيـنَ ستَصِـلُ فيـه؟ ومـاذَا تريـدُ أن تكونَ بعـد خمسينَ سنـةً قادمةً من عمرك؟ فـلا يلتبسْ عليكَ الأمرُ وتمتـزجْ عليك الرؤيةُ بالأهـدافِ، لأنَّ الرؤيةَ شيءٌ هـامٌّ ترسمُ نهايتَـك الكبرى لمشروعِـك.. والأهدافُ هي الخطـواتُ الَّتي توصلك لعناقِ تلـك الرُّؤية.. وهذه مسألةٌ دقيقةٌ ينبغي ألا تفوتَك، لأنَّ كثيراً من أصحابِ المشاريعِ

يخلطونَ بين الرُّؤيةِ والأهدافِ، فيرونَها شيئاً واحداً، وهي تختلفُ، فالثَّانية وسيلةٌ للأولى.

اكتبْ أهدافَكَ التي تحقِّق لكَ رؤيتك، ويمكنك أن تقسِّمَها على المدَّة الزمنيَّةِ، فتكون منها أهدافٌ قريبةُ المدى، وأهدافٌ متوسطةُ المدى، وأهدافٌ بعيدةُ المدى، فالأولى على عام واحدٍ، والثَّانية على خمسَةِ أعوام، والثَّالثة على أكثر منْ ذلكَ، على أن تكونَ الأهدافُ في نهايتها تمثِّلُ الرؤيةَ العامَّة التي تطمحُ إليها، ويكتملُ بها المشروعُ في حياتك.

رابعاً: اكتبْ خُطَّتَكَ:

إنَّ الخطَّةَ الَّتي نتحدَّثُ عنها هنا هي وضعُ الأهدافِ الَّتي توصِلُكَ إلى رؤيتِكَ النِّهائيةِ في جدولٍ زمنيٍّ، ثم يتمُّ العملُ عليها بتحديدِ الوقتِ المناسبِ لها، والزمنِ الَّذي ستقضيه فيها.

وهذه الخطَّةُ يمكن أن تتمَّ وفقَ سبعِ مراحِلَ حتَّى تَصِل فيهَا إلى تحقيقِ مشروعِك في النِّهايـة، وهذه المراحلُ كالتَّالي:

١ ـ كتابةُ الهدفِ العامِّ:

وهــذا الهدفُ العامُّ قد يمثِّلُ المشروعَ كاملاً، وقد يمثِّلُ جزئيةً من المشروعِ، فلو كانَ مشروعُك كلُّه (حفظ القرآنِ الكريـمِ) لكانَ الهدفُ العامُّ يمثِّلُ المشروعَ بالكلِّيَّةِ، أمَّا لو كانَ الهدفُ (العلمَ الشّرعيَّ)؛ فقد يكونُ الهدفُ العامُّ في هذه الحالةِ يمثِّلُ جزئيةً من المشروعِ، وخطوةً من خطواتِهِ.

٢ ـ تحديدُ مجموعةٍ من الأهدافِ المرحليَّةِ الَّتي تحقِّقُ الهدفَ العامَّ:

وهــذه الأهدافُ المرحليَّــةُ تضغطُ الهـدفَ العامَّ الَّذي نصبْتَــهُ لنفســكَ إلــى زمنٍ محــدَّدٍ يتمُّ فيه، وتعــرفُ أنَّك وصلــتَ إلــى نهايته، ودون هــذه الأهــدافِ المرحليَّةِ قد لا تتمكَّنُ من معانقةِ الهدفِ العامِّ، بل يظلُّ تائهاً لا نهايةَ لَهُ.

٣ ـ تحديـدُ مجموعـةٍ مـن الأهـدافِ الإجرائيَّـةِ الَّتـي تحقِّقُ الأهدافَ المرحليَّةَ:

الأهــدافُ الإجرائيَّــةُ هــي الخطَّــةُ العمليَّــةُ للهــدفِ المرحلــيِّ، والمرحلــةُ الزمنيــة لعمرِ ذلك الهــدفِ، وهي

إجراءاتٌ وآلياتٌ وطرقٌ تنصبُ للسَّيرِ عليها، والعملِ فيها لتدفعَ في النِّهايةِ بالمشروعِ إلى غايتِهِ.

٤ ـ وضعُ الأهدافِ الإجرائيَّةِ في برنامجٍ زمنيٍّ توضَّحُ فيه الأعمالُ بمواعيدها:

أي تضعُ أمامَ كلِّ هدفٍ وقتَهُ وزمنَهُ.

ويمكنُكَ قراءةُ هذا النموذجِ العمليِّ لمشروعِ حفظِ القرآنِ الكريمِ، وهو مخططٌ يمثّلُ وضعَ الأهدافِ الإجرائيَّةِ في برنامجٍ زمنيٍّ توضحُ فيه الأعمالُ بمواعيدها، ويعرفُ كلُّ هدفٍ منها زمنه ووقت نهايتِهِ.

الأهدافُ العامَّةُ	الأهدافُ المرحليةُ	الأهدافُ الإجرائيةُ
أن أحفظَ القرآنَ الكريمَ	حفظُ القرآنِ الكريم في خمسِ سنواتٍ بمعدلِ (١٢٠) صفحةً كلَّ عامٍ	يبدأُ الحفظُ في شهرِ رمضانَ أحفظُ صفحةً كلَّ يوم من أيام الأسبوعِ يوما الخميسِ والجمعةِ مراجعةٌ للمحفوظِ يخصَّصُ للحفظِ يوميّاً ما بينَ المغربِ والعشاءِ

٥ ـ وضعُ خططٍ بديلةٍ توصلُ إلى الهدفِ العامِّ في حالةِ عدمِ تحققِ بعضِ الأهدافِ المرحليَّةِ والإجرائيَّةِ:

وهذه الخططُ البديلةُ تكونُ في الأهدافِ الإجرائيةِ، تحافظُ على الأهدافِ العامَّةِ والأهدافِ المرحليَّةِ من الإعاقةِ.

ولو تأمَّلْتَ في الأهدافِ الإجرائيَّةِ في المثالِ السَّابق في مشروعِ حفظِ القرآنِ الكريمِ، لوجدتَ أنَّكَ تحفظُ كلَّ يومٍ صفحةً منَ القرآنِ، فإنَّك تضعُ خطَّةً بديلةً في المقدارِ، وفي الزَّمنِ، فإذا أعيق زمنٌ ما بعدَ المغربِ في هذا المثالِ؛ فإنَّكَ تضعُ وقتاً بديلاً له في ذاتِ اليومِ، أو في اليومِ الثَّاني، وتزيدُ في مقدارِ الحفظِ من صفحةٍ إلى صفحةٍ ونصفٍ على يومينِ، أو صفحتينِ على يومٍ قادمٍ، أو تمدُّ في الحفظِ في يومي الخميسِ والجمعةِ، وتجعلُ المراجعةَ في الأسبوعِ الَّذي يليهِ، وهكذا...

وقدْ تكونُ الخطةُ البديلةُ في الأهدافِ العامَّةِ أو المرحليَّةِ، فتعدُّ خطةً أخرى مقارنةً للخطَّةِ الأصلِ تزيدُ فيها المدة شهراً أو عاماً آخر، وتصل في النِّهاية إلى مقصودِك ولا يتعثَّرُ المشروعُ بالكلِّيَّةِ.

٦ ـ التنفيذُ:

وهي المرحلةُ الَّتي يبـدأُ فيها صاحبُ المشروعِ عملَهُ، وينطلـقُ في تحقيقِ مشروعِهِ، ويجهدُ في بنائِهِ إلى لحظةِ اكتمالِـهِ، وهـذه المرحلـةُ هي صلـبُ الموضـوعِ، ورأسُه، وذِروةُ سنامِه، وغايتُهُ..

وهـي المرحلةُ الَّتـي يخفقُ فيها عالـم التخطيطِ عند كثيرٍ من النَّاس مع كلِّ أسفٍ، وكم من إنسانٍ أدركَ عظمةَ التَّخطيطِ وأثره في النَّجاحِ، وخطَّطَ ورتَّبَ واستهلكَ أوقاتَهُ في كتابةِ تلكَ الخططِ الكبيرةِ، ثمَّ صارتْ ورقاً ضائعاً لا رصيـدَ لهُ في حياتِه، وقد تشبَّـعَ بالتخطيطِ في الظَّاهرِ، وهو مسلوبٌ من كلِّ أثرِهِ في الدَّاخلِ..

فهذه المرحلةُ هي أعظمُ خطواتِ التخطيطِ أثراً، وهي حياةُ صاحبِ المشروعِ، وعَرَقُهُ وجهدُه ونضالُه في الكفاحِ من أجلِ إثبات حقيقتِهِ في الأرضِ.

٧ ـ المتابعة والتقويم:

وهي مرحلةٌ كذلك من أخطرِ المراحلِ وأهمِّها أثراً في نجـاحِ المشـروعِ، ولهذا قد تستنفـرُ كلَّ طاقاتِك في بناءِ

الأهدافِ، ورسمِها، والتخطيطِ لها، وتبدأُ مرحلة التنفيذِ، ثمَّ تكونُ عمليةُ التَّخطيطِ كلُّها فاشلةً لا أثرَ لها، لأنَّها لم تخضعْ للتقويم، وتكونُ تلك اللَّحظة كالَّذي لم يكتبْ حرفاً واحـداً فـي التَّخطيطِ، لأنَّ ما فعلتَه في بنــاءِ الخطَّةِ إذا لـم يخضعْ لتقويم أسبوعيٍّ، وشهريٍّ، وسنويٍّ؛ فإنه يفشل كأنَّكَ لم تخطِّطْ للموضوعِ من أصلِهِ.

وقد يتحوَّل مشروعُ حفظِ القرآنِ الكريمِ ـ كمثالٍ ـ من خمسِ سنــواتٍ إلى عشرينَ سنــةً دونَ أنْ يشعرَ صاحبُهُ، وقـد لا يصلُ إلــى المشــروعِ بالكلِّيةِ، وهذا فــي الغالبِ الأعمِّ.

وعلــى هذا فهذه المرحلــةُ مهمَّة جدّاً، وهــي المرحلةُ الَّتي ستكشفُ لك في كلِّ لحظةٍ عظمةَ مشروعِك وأهميتَهُ، أو فشله وضياعه وذهاب أثره.

* * *

١٨
المشاريعُ الفرديَّةُ والمشاريعُ الجماعيَّةُ

بعدَ كلِّ هذا الطَّرحِ قد يتساءلُ إنسانٌ: ماذا تعنونَ بالمشروعِ؟.

هل مشروعُ الإنسانِ لا بدَّ أن يكونَ فرديّاً؛ هو الَّذي يقيمُهُ ويتولاَّه بالسُّقيا والمتابعةِ، وهو صاحبُه في كلِّ لحظاته؟ أو يمكنُ أنْ يكونَ مشروعُ الإنسانِ مشروعاً جماعيّاً، بمعنى أنْ يكونَ مشاركاً في مشروعٍ يقيمُه مجموعةٌ من الأفرادِ، كأنْ يكونَ شريكاً في مشروعِ جمعياتٍ أو مؤسساتٍ تربويَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ أو دعويَّةٍ؟..

وبياناً لهذا يقالُ: قد يكونُ مشروعُ الإنسانِ مشروعاً فرديّاً؛ هو الَّذي يضعُ أهدافَهُ، ويقومُ على رعايتِهِ، ويتولاَّه

فـي كلٍّ لحظاتِهِ حتَّى يقـومَ ويثمرَ ويقوَى عـودُهُ، ويكتملَ بناؤه، وحينئذٍ يكونُ الإنسانُ قد أقامَ مشروعاً كبيراً، وقدَّم لأمَّتِهِ ما تتمنَّاه منه من خلالِ تلكَ الجهودِ المتكاملةِ الَّتي كوَّنـتْ لبنةَ المشروعِ في البدايةِ، ورعَتْهُ حتَّى أثمرَ ووصلَ إلى النِّهايةِ.

وقد يكونُ مشـروعُ الإنسانِ مشروعـاً جماعيّاً؛ كالعملِ في مؤسسةٍ يديرُهـا أفرادٌ، لكن ثمةَ شرطاً يعطي عملَكَ دليـلاً على عمقِـهِ، ويكونُ له به صفةُ صاحـبِ المشروعِ؛ وهـو أن يكـونَ هذا العملُ الَّذي تديرُه فـي مؤسسةٍ تشعرُ بأهميتهِ، وقوتِهِ وأثره في رسالةِ المؤسسة، وتجد أنَّ العملَ الَّذي تنتظمُ به في المشـروعِ العامِّ يستهويكَ أوَّلاً، فتجد لـه مساحـةً في القلبِ، وتجـدُ لذَّةً له في العمـلِ، وتجدُه كذلـكَ يستفـرغُ طاقاتِكَ كلَّها أو جُلَّهـا، وتشعرُ المؤسسةُ فـي النِّهايـة أنَّها تقومُ بـك عضواً صاحبَ مشـروعٍ، كما تقـومُ بالرئيسِ العضوِ الأكبرِ في المشـروعِ، سواء بسواء لا فرقَ في ذلك.

إذا كنـتَ كذلكَ فـي المشروعِ المؤسسـيِّ؛ فأنتَ تقومُ بمشروعٍ ولو كنتَ منضوياً في مجموعةٍ من النَّاس يساعدُ

بعضُكـم بعضاً في اكتمالِ صورةِ المشـروعِ، والابتهاجِ به في نهاية الرِّحلةِ كأحسنِ ما يكون.

وهــذا بحمـدِ الله تعالى أوضحُ ما يكـونُ في كثيرٍ من المؤسســاتِ التربويَّــةِ والاجتماعيَّــةِ والدَّعويَّــةِ الَّتي تمثِّلُ نماذجَ المشروعاتِ الجماعيَّةِ، وتقدِّمُ في صورتِها النِّهائيَّةِ أعظمَ النَّفعِ لأمَّةِ الإسلامِ.

وحتَّــى المشاريع العلميَّة تأخذُ في غالبِها منحًى فرديّاً فــي صور لا تُحصــى؛ في صورِ العلماءِ فــي قديمِ الزَّمنِ وحديثِهِ، وبعضُها تأخذُ صــورَ الجماعيَّةِ؛ وهي مشروعاتٌ كثيرةٌ جدّاً تتأبّى على الحصرِ لكثرتِهَا.

❊ ❊ ❊

١٩

تغيير المشروع

إنَّ أيَّ مشـروعٍ فـي الحيـاةِ نصبَ الإنسانُ لـه نفسَهُ، وأقبـلَ عليهِ إقبالَ الرَّاغبِ الظمـآنِ على الماءِ الباردِ في يومٍ صائـفٍ، وتمسَّكَ به تمسُّكَ المُحِبِّ، وقد اختارَه بناءً على قدراتِهِ، وإمكاناتِهِ، وميولِهِ، ثمَّ يذهبُ يبذلُ في سبيلِهِ كلَّ ما يمكنُ لإنجاحِهِ، وتحقيق آثارِه في النِّهايةِ لا بدَّ أن يعانـقَ نتائجَه، ويجدَ لذاتِه، ويصـلَ إلى لحظاتِهِ الأخيرةِ وهو يراهُ مستقرّاً في الأرضِ بعدَ أنْ لم يكنْ شيئاً يُذكرُ، هـذا هو الأصلُ، وهذه هي السُّنَنُ المتَّفقُ عليها في عالمِ الخلـقِ، ولا يخـرجُ منها إلا شـيءٌ يسيرٌ يكـونُ في حكمِ النَّادرِ والشَّاذِّ.

إنَّ مشروعَك الَّـذي نصبتَهُ لنفسِكَ، وتعبتَ في تعيينِهِ وتحديدِهِ لا ينبغي أن يغيبَ عن عينِكَ لمشروعٍ آخرَ عَرَضَ

فــي الطَّريــقِ، أو جادَ به حديــثُ مجلسٍ مــنَ المجالسِ، وإنَّنــي أذكِّرُك هنا أنَّ المسألةَ مصيريَّــةٌ، وعمرَ الإنسانِ محــدودٌ، ولا ينبغــي لعاقــلٍ أن تُطــوى أيَّامُ حياتِــهِ، وهو متردِّدٌ في اختيارِ مشروعِهِ، بل عليهِ أنْ يكونَ شجاعاً في تحديــدِ مشروعِــهِ، بعد أن يتعرَّفَ علــى قدراتِهِ ومواهبِهِ، ثــمَّ إذا وضح له ذلك المشروعُ؛ عليــه أن يستنفدَ كلَّ ما يمكنُ من الوسائلِ في النَّجاحِ، والوصولِ إلى النِّهايةِ الَّتي رسمها لذلك المشروع.

فــإن فعلــتَ واستعصــى عليكَ منــالُ ما رسمــتَ له، وخطَّطْتَ من أجلِهِ، وبذلْتَ لوصولِهِ؛ لخطأٍ في التَّخطيطِ، أو عجلــةٍ فــي القــرارِ، أو لحيثياتٍ لابســتِ المشروعَ بعد ذلــك؛ فإنَّ الحكمةَ تقتضي أن تعيــدَ تصوُّرَ مشروعٍ آخرَ، وتبذلَ فيه كلَّ ما يمكنُ للنَّجاح.

إنَّني أدركُ تماماً أنَّ ثمَّةَ خسارةً بَنَتْها العجلةُ، أو عدمُ الدِّقَّةِ في الاختيارِ، أو مشورةٌ لا معرفةَ لصاحبها بواقعِكَ الشَّخصــيِّ، فتكــونُ المكابرةُ علــى ذاتِ المشروعِ خسارةً إضافيَّــةً على الخســارةِ الأصْلِ، ولذلكَ مــن الممكنِ لك أن تتحوَّلَ إلــى مشروعِكَ القادمِ شريطةَ ألاَّ يكونَ الدَّافعُ

للتَّحويلِ من المشروعِ الأصْلِ إلى غيرِهِ بَتَّهُ العجلةُ كذلك، أو أثَّـرَتْ فيه نظرةُ النَّاسِ وحديثُهُم حولَ ضعفِ المشروعِ وعدمِ وجودِ ثمرةٍ له كما تتطلَّع أنت لها، فإنْ كانَ كذلك، فستكونُ مع الأيامِ شبيهاً بالحلقةِ المُفْرَغَةِ تدورُ لا فائدةَ فيها.

إنَّ كثيـراً مـن النَّاس رَسَمُوا لهـم مشروعاً في الحياةِ وبـدؤوا فيـه، وقطعـوا في العملِ فيـه زمناً طويـلاً وَصَل بعضُهُـم فيـهِ إلى سنواتٍ، ثمَّ رأوا بعـدَ ذلك أنَّه لا حيلةَ فـي الاستمرارِ، ولا رجاءَ متوقَّعَ فـي النَّجاحِ، فحوَّلوا من ذاتِ المشروعِ إلى مشاريعَ أخرى، ووصلُوا في النِّهايةِ إلى ما تتمنَّاه أنفسُهُمْ راضِين مطمئنِّيْنَ.

وهـذا كلُّه ـ كما قلـتُ لكَ ـ بعدَ بذلِ الأسبابِ، واتخاذِ كافَّةِ الحلولِ المواتيـةِ لنجاحِ المشروعِ، وعدم الاستسلامِ والرضـوخِ للمثبِّطاتِ الَّتي تحصـلُ للإنسانِ في مثلِ هذا الطَّريقِ..

غالبُ المشاريـعِ العظمى تحتاجُ إلى تضحياتٍ جسيمةٍ جـدّاً، وتحتـاجُ إلـى ركوبِ الأهـوالِ، ومغامرةٍ فـي سبيلِ الوصولِ إلى آمالِ ما بنَاهُ الإنسانُ لنفسهِ من مشروعاتٍ،

والأمثلةُ في حياةِ النَّاجحينَ أكثرُ من أن تحصرَ في ذلك.

إنَّ استماتـةَ الإنسـانِ فـي مشروعِهِ الَّذي بـذلَ كافَّةَ الأسبابِ في تعيينِهِ مهمَّةٌ جدّاً، وتدلُّ على متانةِ الإنسانِ وقدرتِهِ على الدِّفاع عن فكرتِهِ ومشروعِهِ ومستقبلِهِ الَّذي بناه، لأنَّ بعضَ النَّاس مع كلِّ أسَفٍ تركُلُهُ أحاديثُ النَّاسِ فـي كلِّ اتجـاهٍ، فتعبـثُ بمشروعِهِ، كما تفعـلُ الرِّياحُ في كثيـرٍ منَ الأشجـارِ الَّتي لا جذعَ لها يشـدُّ فرعَها ويثبِّت قوامَها.

وفـرقٌ كبيرٌ بينَ حبِّ المشـروعِ، والاستمتاعِ بِهِ، واللَّذَّةِ في لحظاتِهِ، وتركِهِ خوفَ الفشلِ، وبينَ العملِ في المشروعِ دونَ رغبةٍ أو استمتاعٍ أو لذةٍ، وإنَّما يُكْرِهُ نفسَه ويدفعُ بها إلى لحظاتٍ لا يجدُ فيها إلا الشَّقاءَ والتَّعبَ والمعاناةَ، ولا يعرفُ فيها من معنى الحبِّ واللَّذَّةِ شيئاً.

وهـذه قضايا دقيقةٌ بينَ الإنسانِ وبينَ مشروعِهِ ينبغي أنْ تكونَ محلَّ عنايةٍ لدى كلِّ إنسانٍ.

* * *

٢٠
كيفَ ينجحْ مشروعُكَ؟

١

لقـد تعرَّفْـتَ خـلالَ الوقـتِ الَّـذي قضيتَه فـي قراءةِ هذا الكتـابِ على مشروعِكَ، ونبـارِكُ لك أفراحَك هذه اللَّحظاتِ بأنْ وجدْتَ حلمَكَ وحقيقتَكَ وأمَلَكَ الَّذي تبحثُ عنـه من زمنٍ، ونقولُ لك: إنَّ هـذه اللَّحظاتِ في حياتِكَ من أثمَنِ لحظاتِكَ كإنسانٍ، وأجملِ دقائقِ عمركَ، ولِمَ لا تكـونُ كذلك وقد لقيتَ نسبك في الأمَّةِ، ووجدْتَ ضالَّتَكَ في التَّاريخِ.

وبمـا أنَّـك وصلْتَ إلـى هـذه الحقيقـةِ، وتعرَّفْتَ على مشروعِـكَ العمـريِّ في الحيـاةِ، وعرفتَ من أيـن تبدأُ؟ ومتَـى؟ وكيفَ؟ فلم يبقَ عليك إلاَّ أن تتعرَّفَ وبجلاءٍ على إجابةِ هذا السؤالِ الكبيرِ: كيفَ ينجحُ مشروعُكَ؟.

إنَّ أيَّ مشـروعٍ في الحياةِ يريدُ له صاحبُهُ إشراقاً في الفضـاءِ، ومساحةً عريضـةً على الأرضِ، وقـوَّة وهجٍ في الحيـاةِ لا بدَّ أن تحتفَّ به أسبابُ النَّجاحِ حتَّى يصلَ إلى النّهاياتِ الَّتي ينتظرُها كلُّ إنسانٍ.

والأسـبابُ في نجاحِ هذه المشاريعِ في حياةِ الإنسانِ كثيـرةٌ نأتـي على بعضِهـا في هذه المساحـةِ، منْ أهمِّها وأعظمِهـا وأكثرِها أثـراً في نجاحِ المشـروعِ، ويأتي على قائمةِ الأسبابِ:

أولاً: تصحيحُ النِّيَّةِ:

إنَّ من أعظمِ الطُّرُق الَّتي تسلكُ بالإنسانِ إلى أفراحِهِ ونهايةِ مشروعهِ وتحقيقِ غاياتِه هي صلاح النِّيَّةِ.

وقـدْ قـالَ ﷺ في بيـانِ أثرَ النِّيَّـةِ في حيـاةِ الإنسانِ ومشاريعِهِ في الحياةِ: «**إنَّمـا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لكلِّ امْرِئٍ ما نَوَى**[1]».

فمـنْ صلحـتْ له نيتُهُ صلـحَ له مشروعُهُ فـي الحياةِ، ومـن ساءتْ نيتُـه ضاعَ كلُّ عملِـهِ، ولم يربَحْ مـن حياتِهِ

---

(١) رواه البخاري: (١)؛ ومسلم: (١٩٠٧).

شيئـاً، وعلـى صاحبِ كلِّ مشروعٍ أن يـدركَ أثرَ النِّيَّةِ في نجاحِهِ وبناءِ مستقبلِهِ، وتحقيقِ غاياتِهِ، وحين تصلحُ هذه النيةُ يسهلُ عناقُ الإنسانِ لمشروعِهِ الَّذي بناه لنفسه من جهـةٍ، ويكـونُ هذا المشـروعُ موصولاً بالـدَّارِ الآخرةِ من جهةٍ أخرى، وحينَ يجتمعُ لإنسانٍ هذه الفضائلُ فلا تَسَلْ عن عظمِ أرباحِهِ في الدَّارَيْنِ.

ثانياً: عَيْشُ المَشْرُوعِ:

إنَّ صَاحِـبَ المشـروعِ إذا أرادَ لـه النَّجَاح الكبيرَ لابدَّ أن يعيشَ المشـروعَ فـي كلِّ لحظةٍ في حياتِـهِ، أن يعيشَ مشروعَـهُ كأنَّـه يتنفسُ الهـواءَ، أو يجدُ طعـمَ الماءِ في لحظةِ عطشٍ، أو يشعرُ بروعةِ الطَّعامِ في لحظاتِ الجوعِ.

إنَّ النَّجـاحَ في المشـروعِ موقوفٌ على خفقـانِ القلبِ للمشـروعِ، وطربِ الأذنِ عنـد سماعِ ذكـره، والشَّوق إلى لقائِـهِ، وهتافِ الـرُّوحِ بأحاديثِـهِ وذكرياتِـهِ، حتَّى يصيرَ المشروعُ في جسدِ صاحبه كالدَّمِ الَّذي يجري في الوريدِ لا فرقَ.

إنَّ عيشَ المشـروعِ هـو أعظـمُ الأسبابِ الَّتـي تملِّكُ

الإنســانَ زمامَ مشروعِهِ، وتقودُه فــي رحلتِهِ إلى المعالي، وتركبُ به الأهوالَ العظامَ وهو لا يراها شيئاً.

- ولا أدلَّ علــى ذلـك مــن موقـفِ الفقيــهِ المالكــيِّ المحــدِّثِ الإمــام **محمـد بـن سـحنونَ القيروانــيِّ**، فقد قــالَ القاضي عياضٌ في (ترتيـب المدارك): كانــت لمحمدِ بنِ سحنونَ سريَّةٌ يقال لها: أمّ مدامٍ، فـكانَ عندها يومــاً، وقد شُغِلَ في تأليـفِ كتابٍ إلى اللَّيلِ، فحضــرَ الطَّعامُ فاستأذنتْهُ ليــأكلَ، فقال لها: أنــا مشغــولٌ السَّاعةَ.. فلمَّا طالَ عليهــا جعلتْ تلقّمُهُ الطَّعــامَ حتَّى أتتْ عليْه، وتمادَى على ما هو فيهِ إلى أنْ أُذِّنَ لصَــلاةِ الصُّبْــحِ، فقالَ: شُغلْنَــا عنكِ الليلةَ يــا أمَّ مــدامٍ، هاتِ ما عنــدك، فقالت: قــدْ ـ واللّه يا سيدي ـ ألقمتُه لَكَ، فقالَ لَها: ما شعرتُ بذلك!..

- وهــو ذاتُ الحقيقةِ الَّتي عبَّرَ عنها **الزمخشـريُّ** في بعض أبياتٍ بقولِهِ:

سَهَرِي لتنقيحِ العُلومِ ألذُّ لي … مِنْ وَصْـلِ غانيــةٍ وطِيْبِ عِنَاقِ

وتمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ … أشْهَى وأحْلَى من مُدامَةِ سَاقي

وصَرِيرُ أقلامي عَلى أوراقِهَا   أحلَى مـن الـدُّوكاهِ والعُشَّـاقِ

وألذُّ من نَقْـرِ الفتاةِ لِدُفِّها   نَقْري لألقي الرَّمْلَ عَنْ أورَاقِي

يَا مَنْ يحاولُ بالأمانِيَ رُتْبَتِي   كـم بيـنَ مُسْـتَفِلٍ وآخـرَ رَاقِي

أأبيتُ سهرانَ الدُّجَى وتبيتُه   نَوْمـاً وتَبْغِي بَعْـدَ ذاكَ لحَاقِي

- وقدْ تمنَّى عبدُ اللهِ بنُ بشـرٍ الطَّالقانيُّ تلك الأمنيةَ الَّتـي تعبِّـرُ عن هـذهِ اللَّحظـاتِ في حيـاةِ مشروعِهِ بقولِهِ: أرجو أن يأتيَنـي أمْرِي والمحبرةُ بين يَدَيَّ ولم يفارقْني العلمُ والمحبرةُ.

- وتحـدث ابـن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هـذا المعنى قائلاً: ولقـد كنتُ في حلاوةِ طلبي للعلمِ ألقَى من الشَّدَائد مـا هو عندي أحلى مِنَ العَسَـلِ لأجلِ ما كنتُ أطلبُ وأرجـو.. كنـتُ فـي زمـنِ الصِّبَـا آخذُ معـي أرغفةً يابسـةً، فأخرجُ فـي طلبِ الحديـثِ، وأقعدُ على نهرِ عيسـى ببغدادَ، فلا أقدرُ على أكْلِهـا إلا عند الماءِ، فكلَّما أكلتُ لقمـةً شربتُ عليها، وعينُ هِمَّتي لا ترى إلا لـذَّةَ تحصيلِ العِلْـمِ.. وكنتُ أدورُ علـى المشايخِ لسماعِ الحديثِ، فينقطعُ نَفَسي من العَدْوِ لئلاَّ أُسْبَقُ،

وكنتُ أصبحُ وليسَ لي مأكلٌ! وأمسي وليس لي مأكلٌ! ولو شرحتُ أحوالي لطالَ الشَّرْحُ.

- وقـال البـزارُ في وصـفِ شيخِهِ **شـيخِ الإسـلامِ ابنِ تيميةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: وكانَ العلمُ كأنَّهُ قدِ اختلطَ بلحمِهِ ودمِهِ وسائرِهِ، فإنَّه لم يكنْ له مستعاراً، بل كانَ له شِعَاراً ودِثَاراً.

- وقالَ المزنيُّ: قيلَ **للشافعيِّ**: كيفَ شهوتُك للعلم؟.

قالَ: أسمعُ بالحرفِ ممَّا لم أسمعْهُ، فتودُّ أعضائي أنَّ لها أسماعاً تتنعَّمُ به مثلَ ما تنعَّمَتِ الأذنانِ!.

قيلَ له: وكيفَ حرصُكَ عليهِ؟.

قالَ: حرصُ الجموعِ المَنُوعِ على بلوغِ لذَّتِهِ في المالِ!.

قيلَ لهُ: وكيفَ طلبُكَ له؟.

قالَ: طلبُ المرأةِ المضِلَّةِ ولدَهَا وليسَ لها غيرُه.

- وخيـرُ مـا يعبِّـر عن هـذا الشَّـوقِ للمشـروعِ وعيشِ لحظاتِـه ما قاله **أبـو الرَّيحانِ البيرونـيُّ** حينَ دُخِلَ عليـهِ وهو فـي آخِرِ لحظـاتِ حياتِهِ، فقـالَ للدَّاخلِ: كيفَ تقولُ في حسابِ الجَدَّاتِ الفَاسِداتِ؟.

فقالَ له: حتَّى في هذِه اللَّحظاتِ؟!.

قـالَ لَهَ: يا هـذا أودِّعُ الدُّنيا وأنا عالـمٌ بهذه المسألةِ خيرٌ لي من أن أرحلَ وأنا جاهلٌ بها.

- ومثلُ ذلك ما دوَّنه سـليمانُ **الراجحيُّ** في رحلتِهِ مع مشروعِهِ، فقد كتـبَ في سبيلِ تحقيقِهِ أروعَ لحظاتِ المعانـاةِ، وتحمَّـلَ في سبيلِ ذلك مـا لا يتصوَّرُه إلا أصحـابُ المشاريعِ، كان مقدارَ وجبتِهِ اليوميَّةِ ريالٌ، ومـع ذلك ظـلَّ يختصرُها علـى نصفِ ريـالٍ ويعيدُ النِّصْفَ الآخرَ لصاحبِ العملِ رعايةً لحقِّهِ ، وتدريباً للنَّفْسِ على الأمانةِ، ورعايةً لحقوقِ الآخرينَ، ومرَّتْ بـه لحظـاتٌ لا يفطـرُ، ولا يتغـدَّى، وإذا جـاءَ وقتُ العشـاءِ وَقَـفَ عندَ الخبَّازِ طويلاً مـن أجلِ أن يقلَّ ثمـنُ شراءِ الخبزِ، ولقيَ في سبيلِ مشروعِه ما يلقاهُ الكبارُ في سبيلِ بنـاءِ مجدِهم، وعاشَ مرارةَ الجوعِ والفقـرِ والذِّلَّـةِ في مواقـفَ كثيـرةٍ كانَ ثمارها هذا التَّاريخ الَّذي بناه لنفسِهِ ووطنِهِ وأمَّتِهِ.

❊ ❊ ❊

٢١

كيف ينجح مشروعك؟

٢

لا زلـتُ أؤكِّدُ عليـكَ أن نجاحَك في مشروعِكَ مرهونٌ بالأسبـابِ الَّتي تبذلُها فـي سبيلِ تحقيقِهِ قـدراً وكيفيةً، فكلَّمـا ارتفعتْ قيمةُ هذه الأسبابِ في ذهنِكَ، وبذلتَ لها مـن ثمينِ عُمُرِك كُلَّما اقتربْتَ مـن النَّجَاح، وقاربْتَ بلوغَ الطَّريقِ، وهذه قضيةٌ لا تفوتُ على مثلك..

ثالثاً: حسنُ الصِّلَةِ باللهِ تَعَالى:

وهـو سبـبٌ مؤثِّـرٌ في عنـاقِ المشـروعِ حقيقـةً على الأرضِ، وواقعاً في الدُّنيا، وما رؤيَ أقوى من هذا السببِ أثراً، ولا ألطف منه معنًى، ولا أكثر من تأثيره في تحقيقِ مشروعِ الإنسانِ في الحياةِ.

إذَا لم يكنْ عونٌ مِنَ اللهِ للفتَى

فأوَّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

إنَّ مَـنْ يتأمَّـلُ في سيـرةِ نبيِّنـا محمَّـدٍ ﷺ صاحبِ أضخـمِ مشروعٍ في الحياةِ كلِّها؛ يجـدْ عنايةَ اللهِ تعالى بـه في تأكيـدِه الدَّائمِ لـه، وتوفيقِهِ له فـي تحقيقِ هذا السَّبـبِ في حياتِهِ، كما تراهُ في سـورةِ المزمِّلِ في قول اللهِ تعالـى في مَطْلعِ السـورةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

وقد مضتْ من حياتِهِ ليالٍ وهو قائمٌ يصلِّي ويبكي، ولصـدرِه أزيـزٌ كأزيـزِ المِرْجَلِ من البـكاءِ، يقفُ في الصَّـلاة طويـلاً حتَّـى تتفطَّـر قدماه ﷺ، وهـذا كلُّه تأكيـدٌ لأهميـةِ هـذه الصِّلـةِ وعناقِهـا والتشبُّـثِ بها، والاستماتَـةِ فيها، لأنَّها من أعظمِ الأعوانِ على تحقيقِ مشروعِ الإنسانِ في الحياةِ.. ولولاها لم يكن للنَّبيِّ ﷺ ما كانَ.

وكذلكَ هيَ سيرُ العظماءِ الكبارِ في الدُّنيا ظلَّتْ تدركُ

خطـورةَ هذه القضيــةِ وأهمِّيَتَهــا في حياتِهــم، فما زالوا يكتبــونَ فيهــا أروعَ اللَّحظــاتِ الَّتي كَتبت بعــد ذلكَ على مشاريعهم أرفعَ المعاني.

ولا أعــرفُ عظيماً فــي تاريخِ الإســلامِ إلاَّ وله ميراثٌ من هذه الصِّلة تكبرُ في حياتِهِ بقدرِ كبرِ تاريخِهِ، وتعظمُ بقــدرِ عظمــةِ همَّتِــهِ، وهــي الحيــاةُ الحقيقيةُ فــي تاريخِ أصحــابِ المشاريــعِ، ولذَّتُهُــم وراحتُهــم وطمأنينَتُهُم في طريــقِ المعالي، ومــن أدركَ أسرارَها رحلَ بها إلى عالمِ التفوُّقِ والتميُّزِ.

رابعــاً: ومن الأسبــابِ المؤثــرةِ في بنــاءِ المشروعِ: التربيةُ على المَعَالي:

إنَّ نجــاحَ أيِّ مشــروعٍ في الحياةِ يظــلُّ مرهوناً بقدرةِ الإنســانِ علــى تربيةِ نفسِه على المعالــي، والنهوضِ بهذه النفسِ إلــى مطامِحِها الحقيقيةِ في الدُّنيا، وكلُّ من أرادَ أن يكتــبَ لمشروعِــهِ حيّــزاً في الأرضِ، فعليــهِ أن يُعنى بتربيــةِ نفسِه وتدريبِها على كلِّ ما يمكنُ أن يزجَّ بها إلى عالمِ المعالي.

إنَّ رحلةَ المشروعِ في حياةِ إنسانٍ تتطلَّبُ رحلةً مضنيةً فـي تأهيـلِ ذاتِ الإنســانِ، وتربيتِهـا على القيـمِ والمثلِ والمعاني العظمى في حياتِه، حتَّى يستطيعَ أن يكونَ قادراً على إدارةِ مشروعِهِ بقوَّةٍ.

إنَّ النفوسَ تـكلُّ وتمـلُّ وتتعـبُ، وتضجـرُ مـن طـولِ الطَّريـقِ، وما لم تكنْ هذه النُّفوسُ قادرةً على فرضِ قوةٍ تأهيليـةٍ على ذواتِها؛ فإنَّها قد تقعدُ قبـلَ نهايَةِ الطَّريقِ، وتنـامُ وهي علـى مرأى مـنَ النَّجاحِ، وتقـفُ عاجزةً عن الاستمرارِ حتَّى لو كانتِ النِّهايةُ أقربَ ما تكونُ.

خامساً: ومِـنَ الأسبـابِ كذلـك: القـراءَةُ فـي سِيَرِ النَّاجِحينَ:

إنَّ مِـنَ المهـمِّ أنْ نكـونَ قادرينَ على إلهـابِ نفوسِنا بالحماس، وإشباعِهَا بالتَّشجيـعِ، ودفعِهَا للمقدِّمةِ بأخبارِ الكبارِ، وذلك من خـلالِ القراءةِ؛ فإنَّها مِنَ الرَّوافِدِ لكلِّ نجاحٍ، وأيّـاً كان مشروعُ الإنسانِ فهو بحاجةٍ إلى القراءةِ حتَّى يقوَى ويثمر ويزدهر عودُه على الأرضِ.

وتظـلُّ نفوسُنا كذلك بحاجةٍ إلـى سماعِ أخبارِ الكبارِ،

والتلـذُّذِ برحلَتِهِـم، والشَّـوقِ إلـى صنائعِهِم فـي الأرضِ، وعلـى صاحبِ المشروعِ أن يُعنَـى بسماعِ كلِّ ما من شأنِهِ أن يرفـعَ هِمَّتَه، ويدفعَ بقوته، ويلهبَ حماسَه حتَّى يضمنَ شعورَ النَّفسِ بالتَّحَدِّي، وعدمَ ضمورِها من عقباتِ الواقعِ.

سادساً: ومِنَ الأسبـابِ كذلك: حضـورُ الدَّورَاتِ التَّدريبيَّةِ:

تظلُّ حاجَتُنا إلى تفعيلِ نفوسِنَا عظيمةً، وكبيرةً، وعلى صاحـبِ المشـروعِ أنْ يُعنـى بحضـورِ الـدَّوراتِ الَّتي من شأنِها الارتقاءُ بمشروعِه.

وكلُّ صاحبِ مشـروعٍ حرصَ على اختيارِ المناسبِ من هـذه الدَّوراتِ، وشـاركَ فيها بفاعليَّةٍ، وتابـعَ آثارَها على حياتِه بالعملِ، ساهمتْ بشكلٍ كبير في الارتقاء بمستوياتِهِ الفكريَّةِ، والنفسيَّةِ، وحلَّقَتْ به في بعضِ الأوقاتِ للمعالي، وكتبتْ قصَّةَ حياتِهِ كإنسانٍ، وليس من عاشَ وجرَّبَ كمن سَمِعَ.

وهـي كذلـكَ تُكسبه مهـاراتٍ مهمَّـةً فـي إدارةِ حياتِهِ بشكلٍ كبيرٍ قد تسهمُ بها في تحقيقِ أمانيه العظامِ.

وعلــى صاحبِ المشروعِ كذلــك أن يدركَ أهميةَ اللِّقاءِ بالنَّاجحيـنَ، وأثرِهــا في ضـخِّ رُوحِ المنافسةِ فــي نفسِهِ ومشاعـرِهِ، وعليــه أن يخطِّـطَ للقــاءِ هـذه الشَّخصياتِ، والتحـدُّثِ معهـم، وأن يستعرضَ معهـم تجربتَهُـم فــي الحيــاةِ؛ فإنَّ ذلــك مِنْ أعونِ الأسبابِ علــى الوصولِ بعد توفيقِ اللهِ تعالى.

سابعاً: ومِنَ الأسبابِ كذلك: استثمارُ الوقتِ:

إنَّ أعظـمَ المواردِ في حياةِ إنســانٍ وقتُهُ وزمانُهُ، ولن يجدَ صاحــبُ المشروعِ مورداً لنمــاءِ مشروعِهِ وقوتِهِ مثلَ الوقتِ.

وعلى صاحبِ المشــروعِ أن يدركَ هذه القضيةَ تماماً، وإن وعاها بصدقٍ زانَ مشروعَهُ وتهيَّأ لعناقِ النِّهاياتِ.

وصاحــبُ المشروعِ إن أرادَ لمشروعِهِ قوَّةً وأثراً، وأحبَّ أن يعيشَ نهاياتِــه كأوضَــح مــا يكـون؛ فعليــهِ أن يرتِّــبَ وقتَــهُ، ويحــدِّدَ أولوياتِهِ، ويبدأ رحلــةَ المشروعِ وهو يدركُ كـم الوقتُ الَّـذي يحتاجُه لنجــاحِ مشروعِـهِ؟ وما الزمنُ المستغــرقُ لرحلــةِ المشروعِ كلَّ يومٍ؟ وحيــن يعرفُ ذلك

يحـدِّد أولوياته ويبدأُ رحلتَهُ وهو يعـرفُ تماماً ماذا عليه أن يفعلَ؟ وما الوقتُ الممنوح لإدارةِ هذا المشروعِ؟.

إنَّ صاحـبَ المشـروعِ لن يبلـغَ هدفَهُ، ويصـلَ لنهايةِ مشروعِـهِ مـا لم يكنْ أشَحَّ بوقتِهِ من شُـحِّ البخيلِ بمالِهِ، وستظلُّ حيـاةُ صاحبِ المشروعِ مرهونةً باستثمارِه لوقتِهِ، والعنايـةِ به، ومحاولـةِ بناءِ أوقاتٍ من الأوقـاتِ الضائعةِ والمهدرةِ في حياةِ كثيرٍ من النَّاس.

❊ ❊ ❊

٢٢
كيف ينجح مشروعك؟

٣

مـن الأسـبابِ المهمَّـةِ لبلوغِ المشـروعِ، والوصولِ إلى نهاياتِهِ، والتَّلذُّذِ بهِ، وعناقِهِ في قادمِ الأيَّامِ:

ثامناً: الصَّبرُ على طولِ الطَّريقِ:

إنَّ كلَّ صاحـبِ مشروعٍ يـدركُ أنَّ هناك مسافةً طويلةً جـدّاً قبل الاحتفاءِ بمشروعِـهِ في نهاياته، وَمَنْ لم يُدرك بُعْدَ الشُّقَّةِ ومسافةَ الطريقِ فليُعِدِ النَّظرَ من جديدٍ، فإنَّه لا سبيـلَ للوصولِ إلى غاياتِ الإنسانِ ولحظاتِ نهاياتِهِ إلا بعـدَ عرقٍ ينزفُ على الأرضِ برهانـاً على مَشَقَّةِ الطَّريقِ ولأوائِهِ في الحياةِ.

ولذلـكَ كانَ مـن الضَّروريِّ أن يتحلَّـى الإنسانُ بصفةِ الصَّبرِ، وأن يلبسها لباسَ طويلِ السَّفرِ وبعيدِ الشُّقَّةِ، وأن يعلمَ يقيناً أنَّه لا وصولَ له إلى غاياتِهِ إلا بعدَ مُعاناةِ هذه المشاقِّ، ومكابدةِ هذه المعاني.

إنَّ المشـروعَ قد يستغرقُ مـن إنسانٍ عشرينَ عاماً ثمَّ يعانـقُ نهاياتِـهِ بعدَ ذلك، وقـد يستغرقُ مـن إنسانٍ آخر خمسيـنَ عامـاً ويرى ثمرتَه قد أينعـتْ، وقد يستغرقُ من إنسانٍ عمرَه كلَّه، ويرحلُ من الأرضِ وهو يتنفَّسُ مشروعَهُ ولا يزالُ بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الجهدِ والبذلِ.

وليـس أدلَّ علـى ذلـك مـن **مشـاريعِ الرُّسـلِ** عليهـم صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه أجمعينَ؛ فقد عاشَ **نوحٌ** عليه السلام ألـفَ سنةٍ إلا خمسينَ عامـاً وهو يجهدُ بغيةَ الوصول إلى النِّهايـاتِ الَّتـي يتمنَّاهـا كلُّ إنسـانٍ، ولم يصـلْ إلاَّ إلى القليلِ، ومثلُه أولو العزمِ من الرُّسلِ، حتَّى قال نبيُّنا ﷺ: «**يأتـي النَّبـيُّ يـومَ القيامـةِ ومعـهُ الرَّجلُ، ويأتـي النبيُّ ومعه الرَّجلانِ، ويأتي النبيُّ وليسَ معه أحدٌ**[1]».

وقد تكونُ مدةُ انقضاءِ المشروعِ، وعناقِ نهايتِهِ أقصرَ

---

(١) رواه البخاري: (٥٧٠٥)؛ ومسلم: (٢٢٠).

مــن ذلكَ بكثيرٍ، وليسَ مُهمّاً عند أصحابِ المشاريعِ متى ينتهــونَ مــن مشاريعِهم؟ المهمُّ أن تكــونَ نياتُهم خالصةً للّه تعالــى، ويبذلونَ لها كافةَ الأسبابِ المواتيةِ لنجاحِهَا، ويتشوَّفــونَ إلى لحظــاتِ نهايتها، ويركضــونَ إليها ركضَ الجــادِّ في تحقيقِ أمانيهِ، والنِّهاياتُ تأتي بعد ذلك فرحةً أنَّها تعانقُ أصحابَها الكبارَ.

تاسعــاً: ومــنْ أعظـمِ الأسبــابِ كذلك: الثِّقــةُ باللّهِ تَعَالى:

والتوكُّلُ عليــه، والتَّوجُّهُ إليه بقلبِــكَ وروحِكَ وأنفاسِكَ كلِّها، والتَّطلُّعُ إلى توفيقِهِ وسدادِه؛ فإنَّها من أعظمِ السُّبُلِ والوسائلِ إلى تحقيقِ مشروعِ الإنسانِ في الحياةِ.

عاشراً: ومِنَ الأسبابِ كذلكَ: الدُّعاءُ:

فإنَّه بابُ فَــرَجٍ، ومفتاحُ أَمَلٍ، ودليلُ صدقِ الطالبِ في تحقيــقِ مطلوبِهِ منَ اللهِ تعالى.. ومَنْ أدمنَ الدُّعاءَ، وألحَّ على اللهِ تعالى، ورفعَ يَدَيْهِ، وقلبُه مضطرٌّ إلى اللهِ تعالى؛ فتحَ الله تعالى عليه، ووفَّقَهُ، وأصابَ ما أرادَ من الخَيْرِ.

الحـادي عشر: ومِنَ الأسبابِ المهمَّةِ كذلك: التَّدرُّجُ في بناءِ المشروعِ:

فلا يمكنُ أنْ يصـلَ الإنسانُ بمشروعِهِ إلى اللحظاتِ الَّتـي ينتظرُهـا لنهايتها ما لم يتدرَّجْ فـي بناءِ مَشروعِه، ويقسمه على مراحل، ويبدأُ فيهِ خطوةً بخطوةٍ.

فإنَّ مثلَ هذا التَّدرُّجِ والتَّقسيمِ للمشروعِ يمكِّنُ صاحبَ المشروعِ مـن الشُّعورِ بلذَّةِ النَّجاحِ عند نهايةِ كلِّ مرحلةٍ، ويجعلُه يتجدَّدُ نشاطاً لبدءِ المرحلةِ الثَّانيةِ، وبلوغِ نهايتِها القريبةِ.

بخـلافِ ما لو بَدَأَ فـي المشروعِ حُزْمةً واحدةً، فإنَّه قـد يذبـلُ في منتصـفِ الطَّريـقِ، وتطولُ عليـه أفراحُ النِّهايـاتِ مـن جهةٍ، وقد لا يفلحُ فـي ترتيبِ المشروعِ، ومعرفـةِ ما يقدِّمُ منهُ ويبـدأُ بِهِ، وما يؤخِّرُ فيهِ.. وهذا أحـدُ الأسبـابِ الَّتـي ينبغي أن يـدركَ آثارَهـا صاحبُ المشـروعِ، فيبدأُ في تصوُّرِ مشروعِهِ أولاً، ويقسمهُ على مراحـلَ ثانياً، ويحدِّدُ لكل مرحلةٍ زمناً معيَّناً لا يتجاوزُ زمنَه ثالثاً.

الثاني عشر: مِنَ الأسبابِ الخاتمةِ والمؤثِّرةِ في تحقيقِ المشروعِ: الاحتفاءُ بالمشروعِ:

فعلى صَاحبِ المشروعِ أنْ يعلمَ أنَّه في زمنٍ ضَعُفَتْ فيه همَمُ النَّاسِ، وزادَ انشغالُهُم بهمومِهِمْ عن بناءِ مستقبلِهِم، إضافةً إلى حالةِ الإحباطِ الَّتي تلفُّ حياةَ النَّاسِ، وتكتب عليهم التَّواني والكَسَلَ والعجزَ.

فإذا أضيفَ إلى ذلك قلَّةُ المشجِّعينَ لخوضِ مثلِ هذه التَّجاربِ الكبرى في حياةِ الإنسانِ، كان لزاماً على صَاحبِ المشروعِ أن يحتفيَ بنهايةِ كلِّ مرحلةٍ مِنَ المشروعِ، وأن يشجِّعَ نفسَهُ بنفسِهِ، وليعلمَ أنَّ النَّاجحينَ مضطرونَ في بدايةِ رحلةِ مشاريعِهِمْ أن يُصَفِّقوا لأنفسهم حتَّى تأتي اللَّحظاتُ الَّتي تصفِّقُ لهم فيها الجماهيرُ.

❊ ❊ ❊

وفي الختام

إنَّ مـا تقـرؤهُ عبرَ هـذهِ الأسطرِ في كتابـي (مشروع العمر) هو ما يمثِّلُ قناعتي الشَّخصيةَ أنَّ الأمَّة بأفرادِها، وحينَ ينجحُ فردٌ من أفرادِهَا في العثورِ على مشروعِه في هذه الحياةِ؛ فكأنَّما عثرتُ أنا على مشروعِي في الحياةِ..

ولعلك تلمسُ في حبري الَّذي فاضَ بهذه الأسطرِ روحي الَّتي تتلظى بيـن جنبيَّ رغبةً في إحياءِ مشروعِ الأمَّةِ من جديدٍ، والرِّحلة بها إلى مكانَتِها اللاَّئقةِ بها، وأزعمُ أنَّني بذلك بعضُ هذه الأمَّةِ فَحَسْب.

❊ ❊ ❊

المراجع

١ ـ **صفحات من صبر العلماء**، عبد الفتاح أبو غدة.

٢ ـ **العلم وبناء الأمم**، د. راغب السرجاني.

٣ ـ **رتب حياتك**، د. طارق السويدان.

٤ ـ **صلاح الأمة في علو الهمة**، للعفاني.

٥ ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي.

* * *

الفهرس

❊ ❊ ❊

إن صناعة التاريخ فن تملكه الأرواح وليس للأجساد من ذلك شيء..

والأرض أفسح ميدان يترك فيه الإنسان أثر خطوه ورحلته...

وسنن الله تعالى في الكون تأبى أن تفتح الأبواب إلا للطارقين عليها بقوة.

ولو لم أجد روحي في هذا الكتاب لبللت حبره وشربت ماءه من جديد

راجياً تلك الحياة.

لولا أنه قام في قلبي (مشروع العمر)

قبل أن أكتب حرفاً واحداً في هذا الكتاب.

يلقاني في كل طريق..

ويحدوني في كل لقاء..

ويقيمني وأنا في أحلى لحظات النوم.

وأجزم أنك ستلقى روحي في كل حرف تقرؤه.

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزَع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدَة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١